

روايات الهلال

الطيور.. لن تعود

عبد المقصود محمد

REWAYAT AL-HILAL

No. 438 — June 1985



روايات الهلال

RAWAYAT AL-HILAL

نصدر عن مؤسسه - دار الهلال

العدد ٤٢٨ - يوتية ١٩٨٥ - رمضان ١٤٠٥
No. 438 - June 1985

رئيس مجلس الإدارة: **مكرم محمد أحمد**
رئيس التحرير: **مصطفى نبيل**
سكرتير التحرير: **موسى عيد**

الإشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى « ١٢ عددًا » في جمهورية مصر العربية ستة جنيهات بالبريد العادى وفي بلاد اتحاد البريد العربى والافريقى والباكستان اثنا عشر دولارا او مايعادلها بالبريد الجوى وفي سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .
والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في ج . م . ع نقدا او بحوالاة بريدية غير حكومية وفي الخارج بشيك مصرفى لأمم مؤسسة دار الهلال ، وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب .

اسعار البيع فى البلاد العربية والخارج للاعداد العادية من سلسلة روايات الهلال الشهرية بسعر ٥٠٠ مليم للقارىء فى مصر ، مسوريا ٩٠٠ ق.س ، لبنان ٩٠٠ ق.ل ، الاردن ٦٠٠ فلس ، الكويت ٩٠٠ فلس ، العراق ١٢٠٠ فلس ، السعودية ٧ ريال ، السودان ١٢٥٠ م . سودانى ، تونس ١٢٥٠ مليما ، المغرب ١٢٥٠ فرنكا ، الجزائر ١٢٥٠ سنتا ، الخليج ٨٠٠ فلس ، غزة والضفة ٥٠ سنتا ، الصومال ٨٠ بنى ، داكار ٦٠٠ فرنك ، لاجوس ٨٠ بنى ، اسسمرة ٦٠٠ سنت ، اليمن الشمالية ٧ ريال ، اديس ابابا ٦٠٠ سنت ، باريس ١٢ فرنكا ، لندن ١٠٠ بنس ، ايطاليا ٢٥٠٠ ليرة ، سويسرا ٤ فرنكات ، اثينا ١٠٠ دراخمة ، فيينا ٤٠ شلن ، فرانكفورت ٥ ماركات ، كوبنهاجن ١٥ كرونة ، استوكهولم ١٥ كرونة ، كندا ٣٠٠ سنت ، البرازيل ٤٠٠ سنت ، نيويورك ٣٥٠ سنتا ، لوس انجيلوس ٤٠٠ سنت ، استراليا ٤٠٠ سنت ، هولندا ٤ فلورين ، عدن ٤٠٠ فلس

الإدارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة [١]

تليفون : ٦٢٥٤٥٠ « سبعة خطوط »



روايات الهلال

مجلة شهرية لنشر القصص العالمية

الغلاف بريشة الفنانة
منسيه حنين

الطيور لن تغرد

بقلم

عبد المقصود محمد

دار الهلال

« إهداء »

لولا حبك وحنانك ورعايتك
ما وجدت وقتا لكتابة هذه
الصفحات التي أهديها إلى
روحك الطاهرة يا أمي

مقدمة

بقلم : الأستاذة الدكتورة سهير القلماوى

ما يزال الروائى الجديد « عبد المقصود محمد » يتلمس طريقه إلى أن يكون روائيا عظيما • والبداية التى تتمثل فى أولى رواياته التى نشرت منذ أربعة أعوام « إذا جاء الشفق » - ضمن سلسلة روايات مختارة - كانت واعدة بالكثير وهذا هو بعد هذه الأعوام من العكوف على القراءة والتأليف يخرج لنا روايته الثانية « الطيور لن تعود » لتبشر بأن هذا الروائى لاشك واصل باذن الله إلى مكانة فنية فى عالم الرواية تتحقق فيها آماله وآمالنا فى مستقبل الرواية العربية المصرية •

والروائى « عبد المقصود محمد » له خصائص أسلوبية يحافظ عليها ويجهد فى تطويرها دون أن تفقد أصالتها فى الدلالة على شخصيته • ففي روايته الاولى كنا نتحسس معه فى هذه المجموعة من العرب مسلمين ومسيحيين ويهود مايربط بين العرب جميعا من خصائص مميزة قومية ودينية وتاريخية • وفى هذه الرواية التى تقدمها للقارئ اليوم نجده يركز على مجتمع « البلدة » الصغيرة بين القرية والمدينة التى تشرئب بعنقها نحو التغير فتتحرك نحوه ولكن فى بطء شديد يأتى من طبيعة البشر ومن رواسب السنين ولكنه يأتى أساسا من إيمان بالقدر غير سليم • فقدرة الانسان من قدرة الله ، ألم يخلق الله الانسان على صورته ؟

ولا سبيل إلى فهم قدرة الله حق الفهم إلا إذا أئنا بأن الله خلق
الانسان قادرا فى حدود قدرة الله . ومن هنا كان واجبا أن
تصحح مفاهيم كثيرة وأن تصوب مدركات أساسية وأن نعيد
ترتيب قيمنا وأن نفوص فى أعماقها لنصل إلى جذورها السليمة .
فى هذه البلدة مدرسة ، وبطل « الطيور » لن تعود » وهو
راوى القصة يأتى إليها مدرسا موفدا من العاصمة ، لا تربطه
بالعاصمة إلا أواصر واهية وفى البلدة يجد مجتمعا غريبا عليه
ولكنه فى الوقت نفسه فيه من المألوف ما يجعل التعامل معه
يسيرا ، ويتحرك البطل وسط هذه المجموعة بعلاقات تختلف وتتطور
حتى يصبح واحدا منهم بالزواج من بنت من بناتهم .
ولا يفوت البطل الراوى أن يذكرنا وهو يصف عجرة الناظر
بالنظرة التى مازالت سائدة إلى الزواج ودوره فى بناء المجتمع
الجديد .

وعنصر الشر فى البلدة يكاد يكون شرا مصفى مثلما يوجد فى
حكاوى الأطفال : مجدى يرتكب أى شئ فى سبيل ما يريد وما
أحق ما يريد وكل هذا تحت غلاف شفاف لم يلمحه البطل أول
الأمر ثم عرفه واختبره .

ونقف بنهاية الرواية وهى هامة جدا ومحك كبير لقدرة أى
روائى مهما عظم . هنا نجد هجرة إلى الأمل الجديد : تعمير
الصحراء . . وقد دفع إليه حادث واقعى مقنع منطقيا ولكنه غير
مقنع فنيا ذلك أن البطل اشتبك فى معركة مع الشر « مجدى »
فأنهالت عليه الزوجة الشابة « بيد الهون » فأردته صريعا فيما بدا

لهما • فحمل البطل المدرس زوجه وابنته « أمل المستقبل » وفر •
ولما لفظته المدينة ممثلة فى أقاربه اتجه إلى صحراء وهناك علم أن
مجدى لم يمت وأنه ماكان هناك أى داع للهجرة ولكن « الطيور
•• لن تعود » ••

وهذه النهاية كما أسلفت مقنعة منطقية ولكنها لا تخدم فنية
الرواية التى تحركت طوال صفحاتها على « رتم » بطيء وفجأة تتكوم
أحداث جسام فى صفحاتها الأخيرة •

والنهاية هامة لا من حيث تحديدها لقدرات الروائى الفنية فحسب
ولكن من حيث أنها هى مفتاح الهدف للرواية كلها • والهدف
سواء أكان واضحا أو غائما ، بسيطا أو معقدا فهو يشكل البداية
وتسلسل الأحداث ويحرك الشخصيات ويؤثر بشكل فعال فى
الحوار •

لحسن الحظ لا نجد مؤلفنا ينزلق بسهولة فى المباشرة والتبشير
بما يزيد قوله أو يهدفه • وقد كان ذلك عيبا من عيوب روايته
الأولى تجاوزه فى روايته هذه الثانية بقدرة واضحة •

ان « عبد المقصود محمد » ما يزال يعتمد اعتمادا واضحا على
الشكل الكلاسى للرواية أى على الشكل السردى المتتابع زمنيا
والذى لا يستغل المكان ليقوم بدوره ، غير أن يكون مجرد مكان
للأحداث وفى مثل هذه الروايات يتوحد المكان كثيرا وإذا تغير
فانه لا يتغير إلا مرات قليلة ليكون وعاء مناسباً للأحداث ولتواجد
الشخصيات ولكنه لا يؤدي أى دور • حتى مناظر الضيعة وحتى
ما يدل عليه وجود عنصر منها فى كل عنوان لروايتيه « الشفق »

فى الأولى « والطيور » فى الثانية حتى هذه المناظر تأتى لما
ولا توظف . ولكنه لحسن الحظ لا يقف بها متغزلا فى عالم
رومانسى بعيد عن أحداث الرواية وجوها . إنها لمحات طيبة
سريعة إن كانت مقصودة فهى لا تنم عن هذا القصد . و « عبد
المقصود محمد » تتجلى قدراته فى تحرك الحدث تحركا بطيئا
طبيعيا ملائما لحياة البلدة وفى تحرك الأحداث ، ومن خلال هذا
التحرك أساسا تتعرف على الشخصيات : فهى من أفعالها وحوارها
تتكون أمامنا . وأن يكن التكوين سريعا نوعا ما - ثم تستمر
تتحرك من الأحداث فى بطنها ورتابتها فى نفس الاطار الذى
رسمته لنا تحركاتها وأقوالها الأولى .

ولابد من أن أنهو بملكة الوصف ، وصف الأشياء والناس
فأروائى الجديد يتفوق فى هذا وفى جعل اللوحات السريعة
القوية - فى إعطائنا الخطوط العريضة للجو أو للشخصية - تمتاز
بالشفافية والتوفيق فى اختيارها من بين كل ما حولها من ركام
الحياة اليومية ، مما هو غير فنى ، أو غير لازم للصورة الفنية .
إن رواية « الطيور » لن تعود » من أحسن ما قرأت للشباب
الباحث على طريق الفن الطويل ، وما أكثر ما يعرض الشباب على
من إنتاجهم وما أكثر ما تتجلى سعادتى عندما أجد من بينهم قلة
أراها فعلا واعدة بمشرة بمستقبل أرجو أن يكون عظيما ومن أبرز
من فى هذه القلة مؤلف هذه الرواية .

سهيل القلماوى

كانت السيارة النصف نقل تسير فى شوارع القرية مخلفة سحب الدخان والتراب ، الأطفال يجرون وراءها محاولين اللحاق بها ، رأيت الباب مغلقا ، طلبت من السائق أن يطلق « زمرة » قوية ففعل ، نزلت من السيارة ، تراجع الأطفال ووقفوا متربصين على بعد عشرة أمتار ، ناديت بأعلى صوتى :

— يا أستاذ مجدى ، أستاذ مجدى •

دققت الباب بشدة ، لكن أحدا لم يرد ، تملكنتى الحيرة ، رأيت القلق فى عينيه ، تنهد وسألنى محركا يده بعصية ، أليس معك مفتاح ؟

— لا ، ممكن تساعدنى ا

— ممكن •

قالها بنوع من الضيق ونزل يبحث عن شىء ، التفت حبرا ، فك به جانبا من صندوق السيارة صعد فوقها وبدأ يناولنى أجزاء السرير ، صندوق الكتب ، حقيبة الملابس وبعض الأدوات المنزلية . شكرته وأعطيته جنيهين ، تبقى من الأطفال ثلاثة ، وقفوا يحملقون ويتهايمسون ناديت أحدهم وسألته : تعرف الجمعية الزراعية ؟

— نعم •

— اذهب وقل للأستاذ مجدى : جاءك ضيف •

— طيب •

وضع طرف الجلباب فى أسنانه وانطلق رافعا ذراعيه كجناحي
الطائرة •

انبعث من المنزل المقابل صوت أجش : يادعبس •• يادعبس •
لبنى أحد الطفلين النداء بسرعة ووقف الآخر يمضغ ياقة جلبابه
وينظر إلى بعينين نصف مفتوحتين • لمحت فى شباك المنزل المقابل
فلاحة ترفع رأسها وتشرئب لكى ترانى ، احترمت فضولها
والثقت إلى الجانب الآخر ، فجأة ظهرت أمامى فتاة فى مستقبل
العمر ، وجهها ناصع البياض ، ملء بالنمش ، شعرها كستنائى
منكوش ، ترتدى ثوبا أسود ، جرت نحوى وأمسكت يدى وهى
تصرخ بصوت مبجوح :

— آه ، الدم ، حسن •• آه ، حرام ، الدم •••

— ابعدى ياسعاد يامجنونة ، عيب •• اتركى الأستاذ •

قالها أحد الأطفال محاولا أن يبعدها عنى ولكنها استمرت فى
الصراخ وضغطت على معصمى فانفرست فيه أظافرها الطويلة ،
تملكنى الضيق فربت على كتفها مهدئا وسألتها : ماذا تريدن ؟
— أعطها قرشا يا أستاذ •

— كنت قل لى من الأول وارحمنى •

خطفت القرش وابتعدت وهى تردد كلمات غير مفهومة ، بهمس
لحظات خرج من المنزل المقابل فلاح كهل يرتدى ثوبا أزرق بفتحة
واسعة ، صدره مغطى بالشعر الأبيض ، تبرز عظام صدره تحت
رقبة رفيعة معروفة ، وجهه شاحب ملء بالتجاعيد ، تملو شفاهه
ابتسامة تفيض بالآفة ، على بعد ثلاثة أمتار صاح وكأنه يعرئ

من مدة طويلة : أهلا وسهلا •

— أهلا يا حاج •

— تفضل معى حتى يأتى الأستاذ مجدى •

— شكرا ، أرسلت صيبا يناديه •

— الجمعية مغلقة ويظهر أنه فى مشوار •

— لكن هذه الحاجات ...

— لا ، اطمئن .. تعال هنا يادعيس •

شكرته وذهبت معه ، نادى زوجته : « يا أم دعيس ، افتحى

المنذرة » •

— ٢ —

أقفاص الحمام معلقة على الجدران ، الذباب يحوم فى أسراب
ويحط على بقايا الأطعمة المتناثرة ، ملأت أفقى رائحة مركبة من
النشادر ودخان القرن ، المنذرة فسيحة متجددة الهواء ، جلست
على أريكة من الخشب مغطاة بفروة خروف ، رجب بى كثيرا وهو
يحضر أدوات الشاى فقلت :

— والله يا حاج ماتعب نفسك •

— ألن نستطيع القيام بالواجب ، ولا ايه • ؟

— لا أقصد •

— خلاص .. وليتك تطاوعنى ، عندنا صينية بطاطس معمولة

فى الفرن •

— شكرا يا حاج .. ألف شكر •

- جلس القرفصاء وبدأ يشعل الواپور ثم سألنى :
- وحضرتك تقرب أليه لمجدى أفندى • ؟
- شكلى يدل على ذلك • • ؟
- القرابة ليست بالشكل •
- أنا مدرس جديد ، وبخشت عن سكن فى الكفر فلم أجد
- والاستاذ مجدى وافق على أن أسكن معه •
- طيب • • على خيرة الله •
- قالها بتردد كمن يسلم بأن لافائدة من الكلام ، لكنه استطرد
- بنبرة من يريد أن يتأكد :
- يعنى حضرتك لست من الصعيد ؟
- لا ، أنا من روض الفرج •
- أهلا وسهلا ، أنا لى أخت جنبكم فى شبرا وكلما سمح
- الوقت أذهب لزيارتها •
- ربنا يخليكم لبعض •
- الله يكرمك ، شىء إلهى • • قلبى انفتح لك وأحسست
- بأنك ليس عندك لوع ولا تفريك تقاليع الخفافس والكلام الفارغ
- • مجدى أفندى طالع فيها ، مسبب شعره ومعلق على الجدران
- صور الراقصات وحاجة مسخرة ، إنما حضرتك مختلف عنه ، حكم
- أولاد الأصول سيماهم على وجوههم •
- شكرا ، هذا شعور طيب منك يا حاج •
- يظهر أن والدك رجل متدين •
- الحقيقة ، أنا يتيم وأخى الأكبر هو الذى قام برعايتى والاتفاق

على حتى تخرجت فى كلية الآداب •

— ونعم الأخ •• على العموم اعتبره حل مؤقت •

— ماهو ؟•

— السكن •

— آه •• ربنا يسهل •• انما إيه رأيك فى مجدى ؟•

— مجدى ؟•

نطقها باستياء واضح وزاغ بعينه لحظات ثم قال :

— أنا فى الأول حسبتك من أقارب مجدى فقلت أحكى لك

ما يحدث منه لعلك تؤثر فيه •

— انت شغلتنى وأرجو أن تصارحنى •

— أصارحك بآيه ولا إيه ١٠٠

تنهد وأشاح بوجهه فانعكس ضوء الوابور على تجاعيده الغائرة
كان مستغرقا فى تفكير حزين ، ألقت مواصلا حديثه : نحن دائما
نعتبر أن الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق ، ومجدى هذا
يعض اليد التى تطعمه ، جاء الى البلد من سنتين وكان مثل القطة
المغمضة فأحبيناه كلنا ، وبمرور الوقت ظهر على حقيقته •

— لكنى رأيت الناس يحترمونه •

— إذا قابلتك السفيه ، اعمل له كعكة وهاديه •

— من يسمع كلامك يشعر أن مجدى مقطع السمكة وذيلها

كما يقولون •

— أغلبية الناس مازالوا مخدوعين فيه •• تفضل الشاى •

تناولت الكوب ، أدى به الاتصال الى نوبة من السعال ،

شعرت بعدم ارتياح وقلت لنفسي : لو كلامه صحيح ... تبقى
داهية ؟ •

مرت لحظات من الصمت وهو ينظر للأشياء ثم قال :
— ما كان يصح أن أقول هذا الكلام ولكنى صارحتك حتى
تكون على بينة .. وعلى رأى المثل : حرص من صاحبك ولا
تخونه •
— فعلا •

قلتها وأنا شارد الذهن ، أحسست أنه سيتراجع ويحول دفعة
الحديث ، حاولت الامساك بطرف الخيط فقلت :
— يظهر أنه إنسان غريب خالص •

— ياسلام على هذا البنى آدم ياسلام ؟ •

قالها بنبرة أسي ، مط شفتيه بنوع من الضيق ، رفع حاجبيه
محاولا تذكر شيء محدد ثم أكمل قائلا :

— من حوالى سنة حصلت جريمة قتل وكان من المشتبه فيهم
إنما تعرف .. طلع منها كما تطلع الشعرة من المعجين •
— يجوز أنه كان بريئا •

— وحياتك ، كان له يد فى العملية وكان يطمع فى زوجة القاتل
.. سعاد المجنونة ، البت ماسمحت عنها •

تذكرت وجهها الأبيض المنش ، شعرها الكستنائى المنكوش ،
أظافر الطويلة ، تمنيت أن يكون مخطئا وتملكتنى الحيرة فقلت :
— ومن هو القاتل الذى ..

— الأستاذ مجدى وصل •

قالها ابنه دعيس قاطعا سؤالي ، قرأت في عينيه كلاما كثيرا
لخصه بسرعة :

— قيدوها ضد مجهول وأراحوا أنفسهم •

— يا للأسف •

قلتها وارتشفت ماتبقى من الشاي ثم شكرته وقمت •
كان باب المندرة مفتوحا ، رأيت الفلاحة التي تطلعت إلى من
الشباك ، دخلت حاملة فطاس المياه ، فارعة الطول ، ممتلئة
القوام ، خميرية كحلاء ، تفيض بالعافية والشباب ، تقدمني
أبو دعيس إلى خارج البيت قائلا : تفضل يا أستاذ .. هذه المرة
لا تحسب وتبقى حضرتك تشرفنا •
— باذن الله يا حاج •

— ٣ —

بدأ الجو يغم وتداعى الناس إلى السكون ، وجدت الباب
مفتوحا ولا شيء من حاجياتي في الشارع ، كانت لفتة كريمة منه ،
صفقت وناديته : يا أستاذ مجدى •

فخرج من الغرفة قائلا : أهلا ، حمد الله على السلامة • • متى
وصلت ؟

— من حوالى ساعة •

— وإيه وقعك في هذا الرجل المخبول ؟

— من ؟ أبو دعيس ، إنه رجل طيب •

— والله ما طيب إلا انت ، إنه رجل آخر جبان ، عنده وش

فى مخه •

— إلى الآن أرى أنه عاقل جدا وحاول أن يقسوم بالواجب
الاستغناء حتى ثانى •

— يا أستاذ كمال .. أكبر منك بيوم يعرف أكثر منك بسنة ،
وأنا موجود فى هذا الكفر منذ أكثر من سنتين •

— لكننى لا أصدر على الناس أحكاما مسبقة ، وانطباعى الأول •
— هل رأيت زينات ؟•

— زينات من ؟•

— زوجته •

— قصدك ايه ؟•

— لو لم يكن مخبولا لما تزوجها •

— لماذا ؟•

— ألم أقل أنك طيب • ؟ المهم .. ادخل الآن غير ملابسك
وتعال تجلس فى الصالة •

— حاضر •

وجدته قد نصب سريرى وفرد عليه المربة واللحاف ونظف
الغرفة بشكل جيد ، فتحت حقيبة ملايىسى ، أخذت منها بيجامة ،
فككت أزار القميص وأنا أسأل نفسى : « لماذا حاول كل منهما
أن يشوه صورة الآخر ؟ »

أمن أجل المرأة ؟• وهل لمجدى يد فى جريمة قتل الأسطى
حسب ؟ • ارتديت البيجامة وخرجت فوجدته يشعل كومة « قوالح »
فى « المنقد » الفخارى • جلست على الكنبه فالتفت إلى وقال :

.. الرجل الذى يتزوج بنتا أصغر منه بثلاثين عاما .. واحد من اثنين : ياناقص عقل .. ياناقص دين وفى الحالتين يستاهل كل مايجرى له .

— قصدك أبو دعيس ؟

— طبعا .. أرأيت زوجته ؟

— رأيت فلاحه شابة .

— هى ، زينات .. أتصور أن العلاقة بينهما فيها تكافؤ ..

— ممكن .

— كيف ؟ لا ، لا ، لا .

قالها بانفعال وهو يمز رأسه ، يحرك سبابته بعصية ، يستخدم كل ملامحه فى التعبير عن رفضه . فقلت :

— يا أستاذ مجدى ، العلاقة الزوجية لا تخضع لمقياس واحد نعرف به إن كانت متكافئة أم لا .

— يا صاحبى ، إنها تلع بالبيضة والحجر .. آه ، آه يا نارى ..

.. زينة ، زينة زينة ، يازينة ، يازينة .

حينئذ دخلت « سعاد » المجنونة ، ابتم لها وصاح :

— « جئت فى وقتك ياسعاد .. تعالى » .

تسمرت فى مكانها ، زمت شفيتها بفيظ وعصية ، أطلت النظر إليها ، كانت تحديق فى « بنظرات لا تتفق مع صفة الجنون ، حركت شفيتها فى صمت كأنها تحدث نفسها ، قمت إلى الغرفة ، أخذت قرشا من جيب البنطلون ، ذهبت إليها : « خذى ياسعاد » . دفعت

يدى بعنف ، ابتلت أصابعى من عرقها الغزير ، فمسحتها فى المنديل
رميت القرش فى حجرها ، بسرعة قذفته على الكنبة ، لمحت ابتسامة
على شفتى مجدى فقلت : « خذيه وقومى الله يقرفك » •

— لا تتعب نفسك ، أنا مخرج عليها الا تأخذ حاجة من ضيوفى •

— هل هى تانى ؟ •

— كل يوم فى الصباح والمساء •

— كل يوم • ١٩

— نعم ، تكنس البيت ، تغسل الأطباق ، تشتري الأكل •

— ياه •• تكنس البيت معقولة •• إنما الأكل ١٠٠

— سعاد فيها شئ لله وعندما تعرفها لن تعرف منها •

— كيف لا أعرف وهى تنجس أى شئ تلمسه •• انها مصنع

ميكروبات متحرك •

— أغضبتها حرام عليك •

كانت تشد شعرها بعصية ، قامت وفى عينيها نظرة اتهام ،
صرخت بأعلى صوتها وخرجت بسرعة ، اقشعر بدنى ، وتملكتنى
الحيرة عندما قرأت على وجهه علامات الاستياء :

— إيه يامجدى •• حصل ايه ؟ •

— مفروض تكون ذوق فى معاملة الناس ، ولا انت قلت :

مجنونة ؟ •

— وأنا مالى ؟ •

— كنت تقول لى رأيك فيها بعد ماتمشى •

— كأنها صرخت لهذا السبب ٢١ •

— طبعاً يا أخى •

— يظهر أنك لم تفهم شيئاً من نظراتها إليك ؟

— تقصد ايه يعنى ؟

— انت عارف قصدى وهذه ليست طريقة تحدثنى بها •

مرت فترة من الصمت الكثيب ، أمسك سيخا ، حشره فى قلب النارجيلة ، بدأ يحركه لينظفها ، على الشاي وفار على المنقد ، فى لحظة واحدة طشطشت القوالح المتأججة ثم تفحمت وبخار الماء يتصاعد بلون أزرق ويبدو أنه كان شارداً بذهنه فى أشياء بعيدة فنبهته : « الشاي يامجدى » •

— هه .. يا خير •

دخل محمود الفراش فألقى التحية وشد على يدي مرجا :

— حمدالله بالسلامة .. حضرة الناظر أرسلنى إليك •

— سأرتدى ملابسى وأقوم معك •

.. أنت ماصدقت ؟ انتظر الشاي •

— لا .. اعفى منه •

— ٤ —

خرجت مع محمود وكان المساء يلف القرية بلمسة شاعرية ، أحسست باتعاش فملأت صدرى بالنسيم المعطر وقلت لنفسى :

— ملعونة المذن بهوائها القاسد •

انحرفنا إلى شارع جانبي فقابلتنا رائحة « الفل » ، استنشقت

بصوت مسموع وقلت : « الله » •

رفع يده إلى الفصون المدلاة على السور القصير ، قطف زهرة
وناولها لى قائلا : انه بيت حضرة الناظر .

— ياه . فيللا جميلة والله .

دق على الباب الخشبي بقبضة يده فانطلق من الداخل نباح
كلب عجوز ، بعد لحظات ركن الى الهدوء فسمعنا من يناديه :

— تعال يابندق .

وقال محمود : إنه مدحت ابن حضرة الناظر .

افتتح الباب وخرج طفل فى العاشرة ، استقبلنا مرحبا ، كان
يافعا أخذ عن والده أغلب ملامحه ، سرنا فى مشاية ضيقة تحت
تكمية عنب ، أوراقها كثيفة ، عناقيدها فاضحة ومحجبة عن
المصافير بأوراق الجرائد ، صعدنا خمس درجات ثم دخلنا حجرة
الصالون المضاءة بنجفة كبيرة ، جلسنا على مقاعد وثيرة تحمل
طابعا أرستقراطيا . ساد الصمت لحظات ، سمعت بعدها صوت
الناظر يتحدث مع ذويه فى الداخل ثم ضحك وأتى بوجهه
بشوش : يا أهلا . يا أهلا . كان يرتدى جلبابا فضفاضاً وتبدو
على جفونه اتفاخة من قام لتوه من النوم ، جلس فى المقعد
المقابل ، فرك عينيه وقال :

— بعثت محمود اليك بعد الظهر فلم يجدك فقلت يمكن عملت

حسابك تأتى غدا ، وبمدين لقيت جسمى همدانا فنعمت .

— نوم العافية . . الحقيقة ، أنا وصلت بعد العصر .

— ويأتى السكن مناسب ؟

— يقولون : المضطر يركب الصعب .

- لا ، إن شاء الله كل حاجة تبقى سهلة •
- استدار محمود ناحيتي ورفع يده بحركة بطيئة قائلا :
- على فكرة ، أنا لما دخلت عليكما رأيت حضرتك متغيرا •
- فعلا •• حصل بيننا حوار ساخن بسبب سعاد المجنونة •
- وما أن نطقت باسمها حتى ضحكوا وقال الناظر :
- يظهر أن مجدى لا يطيق رؤيتها لأنها اتهمته بقتل زوجها ، ثم إن دوام الأحوال من المحال ••
- مسيرك تجد سكن أفضل •
- ربنا يسهل •
- قوى •• من يدري ، أنت اليوم لا تجد غرفة ولعل الأيام تخبيء لك البيت والمروسة والأولاد • من يدري لعل القدر جاء بك إلى هنا لأجل نصيبك المقسوم •
- وتطوع الفراش مؤكدا رأى الناظر : كل شيء جائز •
- أنا مثلا •• تغربت يومين فى المنصورة فعرفت أم ملحت ••
- يعنى قصدى أقول لك إن الدنيا ••
- مساء الخير •
- انسابت هذه التحية إلى أذنى بصوت رقيق فيه حجة عذبة ، التفت فرأيتها سيدة فى منتصف العقد الرابع من عمرها ، تتمتع بقدر وافر من الصحة وتبدو عليها مسحة الحياة الرغدة ، فهتت أنها زوجة الناظر فقمت وصافحتها بشيء من الخجل محاولا أن أبدو بمظهر من يجيد فن « الايكيكيت » :
- أهلا مدام •

وقدمنى الناظر : الأستاذ كمال ، مدرس التاريخ الذى حدثتك

عنه •

— أهلا وسهلا •

قالتها كملكة متواضعة وجلست بجوار زوجها ثم استطردت :

— من سنة مافتحوا المدرسة الاعدادى. فى الكفر وأبو مدحت هو

الناظر وكل سنة يأتى مدرسون جدد ويكون هو مثل والد لهم ••

فأت لا تعتبر نفسك فى غربة وأى مشكلة تقابلك نحن هنا مثل

أهلك •

— أنا شاكر جدا •

قلتها فأحسست بأنى لم أوفق فى الرد ، وتذمنت لو قلت :

— ميرسى ، ميرسى خالص •

لكننى رجعت أقول لنفسى : يجب أن أكون طبيعيا ، صحيح

أنهم يعيشون فى مستوى أعلى من مستواى بكثير ولكنهم على

مايبدو متواضعون •

فى نفس اللحظة كانت تسأل الفراش : عامل إيه يا محمود ؟

تذكرت أنها لم تحدده حين دخلت ، شممت فى ذلك رائحة تعال

ثم استبعدت هذه الفكرة لأنه أجابها من غير تكليف :

— آهى ماشية والحمد لله •

وفى غمرة الاحساس بالجور الأسرى وكرم الضيافة ، دخلت كطيف

ملائكى شفاف ، ألقت التحية ، لا أذكر ماذا قالت بالضبط لكن

صوتها الناعم دغدغ كل مشاعرى وخفق قلبى بشدة ، حينئذ قال

الناظر بشئ من النخر :

— ابتنى « منى » فى الثانوية العامة •

كانت بشرتها ناصعة البياض وشعرها الفاحم ينسدل على وجهها
البيضاوى فتصرخ ملامعها الرقيقة بجمال فرعونى آخاذ ، طن فى
ذاكرتى كلام أبيها ، فتمنيت أن تكون هى نصيبى المقسوم ، وضحت
صينية الشاى برفق وخرجت لكن حلما من أحلام اليقظة كان يتحرك
فى خيالى •

— ٥ —

وجدت الباب مغلقا ومن جوانبه يخرج بصيص النور فيسطر
على تراب الشارع خطوطا رفيعة ، ترددت قبل أن أطرق الباب ، مرت
لحظات وأنا أنصت بدهشة :

— ليلتك أنس ياشيخ الغفر •

— ومن أين يأتى الأنس ، من الأفندى الذى سكنته معك لكى
يبلغ عنا • ؟

.. عندما تراه ستطمئن اليه ، انه غلبان •

— أخشى أن يكون هذا الغلبان تبع المباحث متتكرا •

— لا تخف ، أنا قرأت بطاقته وتأكدت أنه مدرس •

— ايه رأيك فى التعميرة ياسى مجدى •

— عال قوى ، بس الجوزة سخنت ياحلو •

— كسبت معك قوى يامعلم بدوى •

— بلا نيلة ، أقعد ساكت •

دققت الباب فسمعت أحدهم يقول بصوت جاف :

— قم افت ياسعد أفتح الباب •

قابلتنى سحابة من دخان ثقيل عندما فتح الباب شاب ذو بشرة
سمر ، وجهه مسحوب وأذناه كبيرتان ، أكمل فتح الباب وهبو
يعلنهم •• الأستاذ وصل •

كانوا يتطلعون بشيء من الفضول ، ألقى التحية فردوا بشيء من
الحماس وقاموا عن أماكنهم فصافحتهم واستدرت نحو الذى فتح
لى الباب لكنى اكتشفت أن زراعه الأيمن مبتور من أسفل الكتف
مباشرة وبسرعة مد يده اليسرى فصافحنى وعلى شفتيه ابتسامة
عريضة :

— بلدنا نورت يايبه ، أهلا وسهلا •

أشار مجدى بأصبع سبابته وقال : أعرفك بالرجال •• أولا عم
جابر شيخ الخفر ، المعلم بدوى تاجر حبوب ، سعد « أبو ودان »
سريح بالأرزاقي •
— أهلا وسهلا •

قلتها وجلست على الكنبه الى جانب مجدى واستأنفوا ما كانوا
عليه :

— هات السبعة •

— على كم هذه المرة ؟•

— ربع جنيه •

— بس هي آخر لعبة •• عليك على آخر لعبة •

— ماشي •

قدم مجدى النارجيلة الى المعلم : « تعميرة ثقيلة يامعلم لكى

تروق مزاجك » .

وضع طرف الميسم فى فمه وضم شفثيه الغليظتين ثم شفط نفسا عميقا ونفخ سحابة دخان باهت قائلا :

— عليك نور ياسى نيلة .

وقع بصرى على شيخ الخفر ، اقشعر بدنى لوقع المفاجأة ، كان يرمقنى بنظرة صعبة الدلالة ، نظرة نارية تنطلق من عينين مظلمتين غائرتين كعيني القرد ، ابتسم بخبث فظهرت أسنانه الغليظة المعسوجة تحت شاربه الأسود المنفوش وقال بصوت قبيح :

— ان شاء الله يا افندى تكون بلدنا أعجبتك .

— طبعا .. كفاية جوها النظيف وناسها الطيبين .

حول المعلم النارجيلة الى شيخ الخفر وأخرج ورقة من فئة الخمسين قرشا ، وضعها على الطاولة : العب هذه يانيلة .

— لا ياحلو العبها على مرتين .

— يا اهل الله .

— آه أمك ياسعد .

قالها مجدى بشماته وجرى إلى الباب ففتحه ، دخلت عجوز نحيلة مهلهلة الثياب وقالت بصوت مرتعش :

— اتمسوا بالخير يا أولاد .. بقى ياسعيد انتظرك واقعد من غير عشاء فططنى اللطعة السوداء هذه ، اخص عليك .

— بس ، بس .. أسبقينى على هناك ، امشى .

قالها بغضب وأشاح عنها وهمهم : لو كان عزرائيل يفتكرك !

فقال شيخ الخفر : قم ياسعد ، حرام عليك .. روح مع أمك .

— يا بنى كفاية بقى ، شبت نوم وأنا قاعدة لوحدى •

— خلاص قلت لك اسبقينى •

قام ودفعها للخارج ومشى يؤنبها فتأثرت ولم أستطع أن أمنع
نفسى من القول : « أبهذه القسوة يعامل أمه وهى فى هذه السن؟! »

فضحك المعلم بسخرية وهز رأسه قائلا :

— يوه • ! إنه اختشى منك ولم يضربها •

وقال جابر مفسرا : ولا مؤاخذه يا افندى ، أنت لاتعرف حاجة •

— لكنها أمه ، وفضل الأم ••

— أصلها سبب تعاسته لأن والده لما توفى كان صغيرا وكان

الوحيد على سبع بنات ، أبوه ترك له ميراثا يؤمن مستقبله وكانت

هى الوصية عليه فصرفت أمواله على أزواج بناتها وأهملت تربيته

فطلع هو يامولاي كما خلقتنى وذاق المر فى صباه وكان يبيع فى

القطارات قوقع بين قطارين وفقد ذراعه الأيمن •

— آه •• ومن هنا بدأ يكرهها ويشعر أنها ••

— بينى وبينك هى مكروهة من الجميع •

قالها مجدى مقاطعا ثم استطرد :

— لأنها عكاكة ، توقع الناس فى بعضهم وتعمل بينهم بحر سم •

— أعوذ بالله •

— ومع ذلك غمرها مجبس •

وقال شيخ الخفر : انها تمى أيام حفر البحر ١٠

فرد عليه المعلم : طيب ايه رأيك إنها مغالطة عزرائيل فى

سنتين ١ •

.. ها .. ها .. هاى .

فى هذه اللحظة سمعنا دقات سريعة مضطربة ، وفتح مجدى الباب
فسأله شاب خائف :

— عم جابر هنا يامى ؟؟

وقبل أن يكمل سؤاله لمح شيخ الخفر فاندفع اليه قائلاً بتوسل :

— الحقنى ياعم جابر يريدون تجنيدى ، انهم يبحثون عنى .

هرش جابر قفاه وقال بخبث : هل شاهدك أحد وأنت قادم الى

هنا ؟؟

— لا .. أنا هربت قبل أن يرانى أحد .

— هات خمسة جنيهاً .

— حاضر .

قالها بانكسار وأخرج حافظة نقوده ثم ناوله ورقة خضراء فطبقتها
وأخفاها فى جيب الصديرى قائلاً : وخمسة جنيهاً لمجدى أفندى .

— هه .. مجدى أفندى ١٠ .

— أيوه .. وقت اللزوم ستختبئ هنا اذا جاء « البوكس » من

المركز .

ومد يده فرفع كسوة الكنبه ثم فتح جانبها واذا بها « سحارة

طويلة » .

هز الشاب رأسه بنوع من الاستسلام وقال :

— ليس معى الا ثلاثة جنيهاً .

— يا حسين عيب عليك ، افت لا يقل مكسبك فى اليوم عن

عشرين جنيهاً صافياً .

— والله يا عم جابر آنا ..

— هات ويقي عليك له جنيهان •

وخطف الثلاثة جنيهاً بغيظ ثم طبقهم ورماهم في حجر مجدى
وانتفض واقفا وهو يردد :

.. هيه .. تعال ياسى حسين ، تعال .. تهربوا من التجنيد
وتقلوا راحتنا معكم •

دس مجدى النقود فى جيبه وقام فأغلق الباب وهو يقول :

— لثيم قوى الولد حسين •

فرد عليهم المعلم بدوى : لثيم على من ؟ جابر .. قطعاً سيفتشه
ويأخذ مامعه •

حينئذ لم أستطع أن أمنع نفسى من القول :

— ولماذا يهرب هذا الشاب من التجنيد ؟•

— المكسب يا أستاذ ، انه يعمل فى المعمار ولا يتل مكسبه

اليومى عن عشرين جنيهاً واعتاد أن ينفقهم فى شرب المكيفات ..

فماذا يفعل اذا دخل الجيش ؟ • وقد صار مدمنا !•

— أعتقد أن شيخ الخفر هو الذى ساعده على ذلك •

— يعنى شيخ الخفر كلب خشب ، انه يريد ان يعيش هو الآخر •

— ويعيش بنقود حرام ؟• !

ضحك الرجل ملء شذقيه كآتني قلت نكتة وأجاب :

— ياسيدنا الأفندى ليس هذا هو زمن الحرام والحلال ، أنت

مثلاً : ماذا ستفعل ؟• أنت تريد أن تعيش .. قطعاً ستجبر التلامذة

على الدروس الخصوصية •

- لا ، مستحيل .
- غدا سأذكرك .

— ٦ —

تقلبت فى سريرى ، فتحت عيني فرأيت الشمس قد طلقت الشباك
باطار ذهبى يشيع فى الغرفة ضوءا باهتا ، التفت الى سرير مجدى
فوجدته غارقا فى سبات عميق ، فاعرا فاه حتى برزت أسنانه
الصفراء ، وينبث شخير المزعج من قمه ومنخاره بالتناوب .

جبات العرق تلمع فى وجهه ، هرشت رأسى ، فركت عيني ، نظرت
فى ساعتى ، كانت تشير الى التاسعة والرابع صباحا ، قمت نافضا
الاحساس بالضمول ، فتحت الباب فقابلتنى نسمة باردة ، أحسست
بالجوع يقبض أمعائى ، ترددت قليلا ثم عدت فأيقظته ، كانت عيناه
محمرتين جفونه منتفخة ، ارتكز على كوعه وتثاءب ثم قال :

- صباح الخير .. الساعة كم . ؟
- تأخرنا فى النوم ، الساعة تسعة وربع .
- ياه .. ! لازم أشتري العيش قبل ما يخلص .
- نهض فارتدى جلبابه ، أخذ الفوطه وخرج ، استنشقت نفسا
عميقا ولعبت بعض التمارين الرياضية .
- جاء يسألنى :
- تقرر ايه ياكمال . ؟
- أى حاجة .
- طيب ، خذ الصفيحة ، املاها واغتسل ، ماء الزير يتعشك .

— المهم انك لا تتأخر لأنى جوعان •

— حاضر •

توضأت وصليت ثم بدأت فى ترتيب الفرقة دخل حاملا الخبز ،
كيس « طعمية » طبق فول ، جرش حبة رمل وأنا أمضغ أول لقمة ،
رأيتنه يأكل بنهم فبلعتها ، لكن اللقمة الثانية كانت أسوأ منها ، نددت
على زفرة غيظ وقلت بصوت مسموع :

— أستغفر الله العظيم •

— ماذا • ؟

— يا أخى العيش مخبوز على رمل !؟

تناول رغيفين وحك كل منهما فى الآخر ثم وضعهما أمامى
قائلا :

— كل وجه الرغيف •

— حرام والله ان العيش يخبز باهمال هكذا •

— الاهمال فى كل مكان •• يعنى العيش فى مصر أحسن من هنا

أبدا •

— قد يكون أسمر ، أو خشنا ولكن ليس فيه رمل •

— السنة الماضية كنت أسمى فى الوزارة لنقلى من الجمعية ،

وبعدين دخلت مطعما فاخرا •• هناك فى الدقى • تعرف لقيت ايه

فى الرغيف ؟

— لقيت ايه • ؟

— عقب سيجارة • وطبعا الدقى منطقة راقية •

— اذا العدم الضمير فلا فرق بين منطقة راقية وشعبية •

— بالضبط ، والطمية ايه رأيك فيها ؟
— ساخنة وشهية جدا .. وكذلك الفول .
خيم الصمت برهة ، كنت جائعا وللطعام نكهة لذيذة ، فتبارينا
فى الأكل .

رأيتك يبتسم وفى ملامحه بعض الشرور ، ظننته قد تذكر وجبة
معينة اهتمت بها فى يوم ما ..
لكنه فاجأنى بقوله :

— أستاذ كمال .. هل لك تجارب مع البنات ؟
— تجارب . بمعنى ايه ؟

— وأنت فى الجامعة ، ألم يكن لك علاقة حب ؟
— حصل . ! حصل انى أحبيت « واستمرت العلاقة لمدة ثلاث
سنوات ، لكن للأسف .. عند أول محطة اكتشفت أنها كانت تخدعنى
وتتسلى بى .

— لازم العريس كان « لقطه » .
— يعنى ! كان جاهزا كما يقولون .
— خلاص .. ماعاد يوجد وفاء أو حب صادق .
قالها بتأثر كمن يوجه لوما لحبيبتة واستطرد وهو يقوم :
— كل انت أفا أسرع منك فى الأكل .
مضغ لقمته الأخيرة ، بلعها وسكب فى حلقه كوب ماء ثم التفت
وسألنى بنبرة من يعرف الاجابة مقدما :
— أرايت منى ؟
— منى ؟ آه ابنة الناظر .

- ما رأيك فيها ؟
- من ناحية ايه ؟
- ها ، ها .. وتقول انك أحبيت ١٠٠
- وما دخل الحب هنا ؟
- الحب يجعلك ذواقة ، ويصحى جواك الاحساس بالجمال •
- رأيته وهى تقدم لنا الشاي ، وكان واضحاً انها جميلة •
- قل : ملكة جمال ، جنينة ورد بلدى .. ياسلام •
- قال الكلمة الأخيرة بنبرة طويلة حاملة وأغمض عينيه كأنه يحتضن صورتها بين جفونه ، ثم قال بشيء من المجاملة :
- ليتها تكون لك •
- وأنت ؟
- أنا ؟ بالنسبة لها صعلوك ، ايه يعنى كاتب فى جمعية زراعية ، أى شيء أكون جنب « منى » ، كفاية انها بنت مرسى المنشاوى •
- ائت بهذا جعلتنى أحس أنها اكبر من طموحى فعلاً •
- لا ، بس انت خليها فى دماغك •

— ٧ —

أدريت المفتاح فى الباب ولم يفتح ، عرفت أنه مغلق من الداخل ، دققته بكفى ثم كررت ذلك ، مرت بضع دقائق وأنا أنتظر دون جدوى ، فأعدت دق الباب ، سمعته يرد بنرقرة :

« طيب .. طيب » • بعد لحظات جاء يسأل بنبرة تنم عن

القلق :

— من ١٠

— أنا كمال •

فتح وهو يتكلف الابتسام وقال : لقد ظننتك جازير شحيح
الخفر •

كان مرتبكاً الى حد ما ، لاحظت ذلك فى ملامحه والطريقة التى
يتحدث بها • ثم لمحت فى الداخل امرأة ، تغسل الأطباق وهى
جالسة القرفصاء ، رأيتها من ظهرها ، لكنى عرفتها وسارع هو
فقال :

— مادمت تعرف من سعاد المجنونة تبقى الصحون يغسلها العاقلون
دخلت الغرفة وكلماته عنها تطن فى ذاكرتى ، ابعثت فى مخيلتى
صور شيطانية فاستغفرت وقلت لنفسى :

— « ان بعض الظن اثم » • واستأنف كلامه عن سعاد قائلاً :

— « غريبة أنها تختفى هكذا • • تصدق أنها أول مرة عملها • •

الخوف أنها تكون عملت فى نفسها حاجة ، ترمى نفسها تحت

القطار أو فى البحر » •

توقف عن الحديث موجهاً الى نظرة ثابتة وسألنى :

— مالك يا كمال ، سرحان فى ايه • ؟

— هه ، لا أبدا •

فى هذه اللحظة وقع بصرى على شعرة سوداء طويلة جداً ، رأيتها
على وسادتى فتأكدت أن ظنونى فى محلها ، غلى الدم فى عروقى
ويبدو أن ملامحى كانت تكشف له عن أعماقى الثائرة فسادى

عليها :

- بنت يا أم دعيس ، تعالى لكى تسلمى على بلدياتك •
- ياه : بقى هو كمال أفندى ليس من مصر •
- قالتها بميوعة فرد عليها : أنه بلدياتك •• من بنها ، تعالى •
- وغمز لى وهو يتسم بخبث •

فتملكنى الغيظ وقلت فى نفسى :

- يا ابن الملعونة •• على طول عملتنى بلدياتها •
- دخلت تتصنع الحياء وقالت بشىء من التبجح :
- الا انت صحيح من بنها ؟•
- اتنى من بنها ؟•
- أى نعم •

— طيب ياحلوة ، لا تسين شعرك على السرير مرة ثانية ، أحسن عيب •• عيب خالص •

أعطيتها الشعرة واحساس بالقرف يملؤنى فاحتقن وجهها بالدم ودارت خجلها قائلة :

— من شعرى أنا •• !

- ورد الذئب مهونا : يا أخى أصلها كانت تنفض الفرش •
- والله يا سيدى أنا لم أطلب من أحد أن ينفض لى •
- على العموم ، أنا الذى طلبت منها •• لم أكن أعرف أنك « إفف » الى هذه الدرجة •

قالها بشىء من الدهاء محاولا تهدئة الموقف ، بينما انسحبت هى فى صمت لتكمل غسل الأطباق ، اقترب منى وقال بصوت منخفض

مغلف بثوب النصيحة :

أهكذا تكسفها بدلا من أن تشكرها ، انك لا تعرفها .. انها طيبة وبكلمة حلوة فكسبها .. نحن فى احتياج ..
- تكلم عن نفسك .

- نعم أنا فى احتياج اليها ، بل أحبها وهى أيضا تحبنى ، لكنها ليست ساذجة كما تتصور ، هى تعرف أن زوجها على حافة الموت وان سلمت نفسها لى قلن أرغب فى الزواج منها بعد ذلك .. فهمت هى ليست عيطة .

وظل يرض كلاما كثيرا لم أسمعه لأنى كنت فى دوامة : هل أتور عليه وأحذره من تكرار هذا البقاء ؟ بإمكانه أن يطردنى فأين أذهب ؟ لكنه يخذلنى ويستغفلنى .. لا يجب أن أتستر عليهما .. قد تكون فضيحة « تنبئت على صوته ينادينى لتناول الغداء ، كان يضع اللسعات الأخيرة للأطباق المتنوعة » رفع ناظره الى وهو يصفق على طريقة أعياد الميلاد قائلا :

- حنة أكلة بقى .. تأكل أصابعك وراءها .

- كل انت ، أنا عندى مشوار .

- طيب تأكل وبعدين تروح مشوارك .

- لا ، أنا خارج وكل انت .

- تعال والأكل ساخن ، يا أستاذ كمال ، خذ . اسمع ، تعال

بس ..

- ٨ -

على ناصية الشارع رأيت دعبس يلعب مع رفاقه ، كاديت

وسأله عن أبيه فقال : راح لعمتي في مصر جذبتني نبضات سريعة منتظمة تنبعث من صهريج المياه : « طق ، طق ، طق » وأصوات النسوة تمتزج بخير الماء وصوت ارتطامه بقيعان الفناطيس « تحسرت على الأرض السمراء التي تفقد عذريتها وتستغيث من الطوب الأحمر والأسمت وأكوام الزلط والرمل فترمي كل خصوبتها في « كدية » حشيش وعود سيمبان وشجرة خروج • مشيت على الطريق الترابي الممتد الى خارج القرية ، كان الجو خريفيا جميلا ، سرت تحت أشجار الصفصاف الظليلة ، الحقول على يميني والترعة الصغيرة والطريق الزراعي على يساري والفلاحون قد ركنوا الى الراحة ، منهم من أسند ظهره الى جذع شجرة وجلس ينظر بارتياح للماء المتدفق يروي ظلما زرعه ومن تمدد على الأرض وراح يغط في سبات عميق نافخا صدره بكل اطمئنان ، ومن جمع حوله أسرته كبيرة العدد لتناول طعام الغداء بنوع من الألفة لا مثيل له • عبرت الترعة الصغيرة الى الطريق الزراعي والسكة الحديد ثم الى الترعة الكبيرة متجها صوب عيون « أبو الأخضر » • كانت البوابات عالية والماء يقفز من فوقها ويتساقط بشدة فيكتسب لونا ثلجيا ويصدر بصوت يشبه ارتطام الأمواج • اخترت مكانا في ظل شجرة كافور ، فردت مندبلي على الأرض ، لمحت شيئا « غائما » يتكور ، كانت نائمة ثم اعتدلت وأخرجت شيئا من صدرها يشبه المنديل ، ذهبت اليها ، سمعتها تحدث نفسها بصوت مسموع ، رأيت في يدها صورة صغيرة تنظر اليها وتكلمها ، سألتها : « صورة من هذه ياسعاد » ؟ أخذتها المفاجأة ، حملت في طويلا زاغت ببصرها

بמידا ثم وقت تنظر فيها یجنون : حسن یاحییى ، حسن ، یاحسن ،
رد علی یاحییى ..

— أرینى هذه الصورة •

— لا •

قالتا بصوت مرتفع یشوبه الفزع ولفتها بسرعة فى خرقة من
القماش ثم وضعتها فى صدرها ، تقدمت منها قائلا :

— خائفة منى یاسعاد • ۱۹

تراجعت وانطلقت تعدو بشىء من الهلع ، جلست أفكر فى أمرها
بشئ من الأسى : « مسکينة تعيش فى عالمها الصغير ولا أحد یشعر
بأسأتها » •

— غریبة انك هنا یا أستاذ کمال •

التفت فوجدته صلاح مدرس الرياضیات ، كان یركب حمارا قوى
البنیاز ، یرتدى جلبابا ناصع البیاض ، علی عینیه النظارة السمیكة ،
وفى یده شمسیة خضراء ، نزل عن مطيته ، فقت الیه : « أهلا »
« أستاذ صلاح » • صافحنى بحرارة وقال وهو یتسم : « یشعر
أنك شاعر ونحن لا نعرف » •

— لا ، أبدا .. المناظر هنا خلابة فعلا ، لكنى كنت أفكر فى هذه
الفتاة البائسة •

— سعاد .. رأیتها عن بعد وهى تحدثك ویشعر أن كلامك لم
یمعجبها •

— أعتقد أنها أصبحت لا تثق فى أحد •

— الحقیقة .. هى صمبانة علینا ، لكن نعمل ایه .. المین بصیرة

واليد قصيرة •

لا نملك أن نفعل لها شيئاً ••

— لماذا ؟•

— كل واحد يريد أن يعيش •• أنا مثلاً ورأى أخوتى الأصغر
منى وزوجتى وطفلتى أريد أن أريهم وأعلمهم وليس عندي استعداد
لتكوين عداوات •

— طيب وهذه المسكينة •• دم زوجها يروح هدرا ؟!•

— يا أستاذ كمال المفروض أن البلد فيها حكومة وقانون وإذا
فشل المسؤولون عن تطبيق القانون فهذه قضيتهم و...•
— لا يا أخ صلاح أنا لست معك فى هذا •• لعن الله قوما ضاع
الحق بينهم •

— وهل هناك لعنة أكثر من أن يأكل الناس بعضهم مثل السمك
•• هيا بنا •

— الى أين ؟•

— الى البيت ، ألا تحب أن تعرف بيتى ؟•

— يسرنى أن أعرفه •

— اذن هيا بنا •

ركبت خلفه وانطلق بنا الحمار نحو القرية ، بينما استطرد
صلاح :

— نصيحتى لك يا كمال •• لكى تعيش هنا ، خليك فى حالك ••

ولا لك دعوة بحد ولا محتد •• أنا نفسى متبع هذا الأسلوب •

— طيب •

قلتها وأنا شارد مع أفكاري ، لكنه واصل حديثه فسألني :
— أنا دريت أنك سكنت مع مجدى كاتب الجمعية ...

صحيح ؟

— نعم ، هل تعرفه ؟

— أقدر أقول لك انى كنت أول واحد يصاحبه هنا فى البلد •

— كنت ؟• يعنى علاقتك به لم تستمر لليوم ؟•

— تقريبا •• وهذا يرجع الى أنه « خلنجى » ولا تهمه الا
مصلحته •

— أنت طبعا عارف أنه كان متهما أو واحدا من المتهمين بقتل
زوج سعاد •• فايه رأيك ؟•

— مجدى كان مظلوما •• هو صحيح أهوج ومراهق فى بعض
تصرفاته انما ليس من النوع الذى يقتل •

— طيب اذا كان برئنا فلماذا اتهمته سعاد ؟•

واحدة فى مثل حالتها كانت تتصرف بطريقة عشوائية ويدهى
أن شکوکھا لم تكن فى محلها •

مرت لحظات من الصمت وأنا أفكر فى كلامه وأشعر باطمئنان
وقد بدأت صورة مجدى تتحسن فى ذهنى •

— ٩ —

طبقت الفوطه قائلا : سفرة دائمة يا أستاذ صلاح •

— لا ، انت يظهر ان الأكل لم يجعلك •

— الأكل جميل جدا والحمد لله •

• سـرطـيب ياسـيدى •• بالهـناء والشفـاء •• تـستـطـيع أن تـغـسل يـديـك
على الحـنـفية الـمـوجـودة خـارج الغـرفة •

كـافـت عـبـارة عـن بـرمـيل كـبـير فـى أـسـفـله حـنـفية مـن النـحاس الأـصـفر ،
مـوضـوع عـلى مـنـضـدة خـشـبية وبـجـانـبه قـطـعة مـن الصـابـون المـعـطر ،
تـحـت الحـنـفية صـفيـحة فـارغة وعلـى الحـائـط شـمـاعة بـها فـوطـة زـاهـية
الألـوان ، كـان الشـاى جـاهـزا فـشـربـناه وطلـبت مـنـه أن نـذهـب إلـى
النـادى الـذى حـدثـنى عـنه أـثـناء تـناول الغـداء ، فـنـظـر فـى سـاعـته وقـال :

— نـعم •• الـوقـت مـنـاسب ، هـيا بـنا •
مـشـينا فـى الحـوارى القـذرة والأزقة الرطبة ، مـعـظم الـبيـوت واطئة
طـينية دـون طـلاء ، أكـوام الحـطب تـطل عـلى الجـانـبين مـن فـوق الـأسـطـح
وتـدلى فـوق رءـوسنا •
وصـلنا إلـى الجـانـب الشـرقى مـن القـرية ، فـظـهـرت لـافـتة يـبـضاء
مـكـتوب عـليـها بـخط أسـود :

« نـادى شـباب كـفر الغـنـيمى » •
الـلافـتة مـثـبـة أعـلى باب قـديم يـحـمل بـقايا طـلاء أخـضر ، الباب
مـفتـوح عـلى مـصـراعـيه ، كـانا يـلعبـان الطـاولـة ، التفتنا لـحـظة دـخولنا ،
اتـجهـنا إلـيـها كـأن مـوعـدا يـربـط بـينـنا :

— « مـساء الخـير •• أقـدم لـكما الصـديق كـمال توفـيق •• مـدرـس
تـاريخ » ، وأشـار إلـى أكـبرـهـما سـنا : الأـسـتاذ مـحـسن •• فنـوز جـمـيلة
•• وهـذا فـيلسـوفنا الأـسـتاذ عـامر ، لـيسـانـس حـقوق تبادلنا كـلمات
الـترحيب وجلسنا تـتابع رـمى الزـهر وحـركة القـواشـيـط :
— شـيش ، بـيش •• بـالسلامة •

- دورجى ، أهلا ، أهلا •
- جهاز ، سيه •
- لعبة جميلة •• الله ، الله •
- جهاز ، دو •• طيب •• الجهاز ممسوكة •
- بانج ، سيه •• تمام ، ياسلام •
- يا ولد •• على الدوسة الجميلة •
- اطلع •• هبيك •• اطلع
- يعنى السيد عطوة تأخر يا أبا الصلح • 1
- قالها محسن وهو يضرب القشاط فى خشب الطاولة بعنف •
- يسكن ربنا فتح عليه بقصيدة جديدة •
- وتلاقيه نازل نحت فى قوافيها بيديه وأسنانه •
- دوبارة •• فك وارحل يا حبيبي •
- طيب ، اثنان باثنين •• العب •
- شيش ، ييش •• ياسلام •
- ليتنا افكرنا حاجة حلوة •
- استبدار صلاح الى قائلا : هذا •• شاعرنا السيد عطوة •
- كان شابا يافعا ذا وجه شاحب ، يرتدى بنطلونا رماديا وقميصا
- باهتا لا لون له ، ويضع تحت ابطه مفكرة كبيرة ذات غلاف أحمر •
- دخل يهز رأسه ويصفر بأسنانه البارزة قليلا :
- يامساء الفل والريحان •
- مد يده بصافحنا جميعا ثم سحب كرسيه وجلس وهو يفتح
- المفكرة قائلا :

— فى جمعتى اليوم أكثر من قصيدة ، اسمعوا .. هذه قصيدة
بعنوان « لحظة يأس » .

— ياساتر .. اكفنا الشر يارب .

قالها عامر طالب الحقوق بنبرة ساخرة وكانت ملامحه تثير الضحك
خاصة وأن لحيته الطويلة لا تتفق مع طابع المرح الواضح فى بريق
عينيه وابتسامته العريضة .

— لا .. أرجوكم ، اسمعوا أولاً .

قالها باهتمام وجعل يقرأ شعره المكسور :

تقلصت رعدا وبرقا	وامتلأت بالغيوم السوداء
وانفجر السحاب أمطارا	تبذرها الرياح الهوجاء
وأقبل الليل كثيبا	يتلصص بخبث ودهاء
واشتدت العواصف والبرد	يلصص أجسام الضعفاء

— بس .. كفاية وأوأة !

كان عامر يمسك دماغه كأن صداعا يؤلمه ، ورد محسن بنبرة
خطائية :

— الليل ، السحاب ، الرياح .. آيه ، أمرئ القيس افت ١٩
فكان يبدو كمن يترأس مظاهرة ، خاصة وأنه بارز فى المجموعة
كلها بقميص مشجر ذى لون صارخ . نظر لهما بشيء من الحيرة
وفى ملامحه مزيج من الغضب والخجل ، لكنه قبل أن ينطق بكلمة
قال له عامر :

— يارجل يامفتري .. أهذه كلها لحظة .. قال آيه : لحظة

يأس ١٠٠

قال العبارة الأخيرة وهو ينظر إلينا متعجبا ثم التفت إلى سيد
عطوة مؤنبا : وجعت لنا دماغنا والأسبرين غال •

— أهكذا يا عامر !! •

— حرام عليك يا رجل •• دماغنا متكلفة •

نظر إلى بشيء من الأمل في انصافه وسألني :

— مارأيك يا أستاذ ؟ •

— الحقيقة ، أنا لست ناقدًا •

— لكنك مثقف ولازم لك رأى •

— من خلال قراءاتي أعتقد أنه شعر مكسور ولم تحسن اختيار

موضوع القصيدة •

— ينصر دينك يا أستاذ كمال •

قالها عامر باهتمام كأنني قلت شيئا خطيرا وأيده محسن :

— يا سلام ، شوف •• شوف الناس التي تفهم •

ولكني أعتقد أيضا أنها بداية جيدة للشاعر سيد عطوة •

— طيب •• اسمعوا قصيدة أخرى •

قلب صفحات المفكرة بسرعة واستأنف :

— اسمعوا •• هذه قصيدة بعنوان « التاريخ عندما يعيد

نفسه » •

— بس •• أول القصيدة كفر •

— طيب ، والله العظيم •• لن أقرأها •• لكي تبسط يا عامر ••

وأنا عارف ان هذه غيرة وحقد لأنك تعجز عن كتابة بيت واحد من

الشعر •

- ها ، ها .. يارجل حرام عليك ، أتسمى ماتكتبه شعرا •
- يا جماعة ، اشهدوا عليه لأنى بعد ذلك سأضربه •
- تضربنى يا ها • هاها • ارم الزهر يا محسن • • فلعب أحسن مادام فيها من ضرب •
- اقرأ لنا القصيدة يا عطوة •
- لا يا صلاح ، أنا خلاص حلفت •
- تعرف يا عطوة ، ان الأخ عامر معه حق •
- يا أستاذ كمال ، أنا لم أقرأ القصيدة بعد •
- ألم تقل : التاريخ يعيد نفسه • • ؟
- هذا عنوان القصيدة فقط • •
- ولكنه خطأ • • لأن التشابه بين بعض الأحداث لا يعنى أن التاريخ يعيد نفسه وهذا المفهوم الرجعى المتشائم لا يناسب هذا العصر لأن عجلة التاريخ لا تسير الى الخلف •
- لكنى أذكر أنى قرأت ذلك •
- نعم • • كانت نظرية قديمة ، لكن لو أنك قرأت لمفكر مثل أرنولد توينبى •
- توينبى • • ؟
- نعم ، انه مؤرخ وفيلسوف بريطانى معاصر •
- وماذا قال عن التاريخ • • ؟
- قال : ان التاريخ يسير فى دوائر تدور حول نفسها بطريقة حلزونية •
- وماذا يعنى بهذه الدوائر • • ؟

— انه يرى أن لكل حضارة بداية ثم اكتمالا ثم نهاية وكثيرا ما تكون نهاية حضارة ميلادا لحضارة جديدة أكثر تقدما منها .

— ١٠ —

فرشت الجريدة على الطبلية وجلست أحضر حصص اليوم التالى بينما انشغل مجدى فى تنظيف النارجيلة ثم أشعل وابور الجاز ووضع فوقه غلاية الشاى ، قام فأحضر الكوتشينة التى اهمك فى تفنيط أوراقها مرددا وهو يمز رأسه بنوع من النشوى : زينة ، زينة ، زينة ، يازينة يازينة .

وضع الكوتشينة جانبا وقال : بعد ماتخلص كتابة ، نلعب لنا عشرة .

— الحق الشاى فار .

سارع باطفاء الوابور وبدأ يصب الشاى ثم أخذ رشفة وقال :

— الله ، شوية شاى .. انما ايه .. عجب .. !

لم يكد ينتهى من كلمته حتى دق الباب ولما فتحه دخل شاب طويل القامة ، يرتدى جلبابا لا لون له ، فى وجهه بعض الكدمات وفى جبينه ندبة غائرة ، اندفع نحو الكنبه وهو يلث مرددا بشيء مسن الهمع : خبئنى ، خبئنى .

فتح جانب الكنبه التى هى فى الحقيقة سحارة طويلة ونام بداخلها .

فسأله مجدى : أين كنت يا ولد يانسر . ؟

— فى البيت .

— أهى الكبسة . ؟

— نعم ، لكننى قفزت من فوق الأسطح ونزلت فى الحارة •
— ألم يرك أحد • ؟

— لا ، اطمئن •

— أنا ، عارف انك ستضيعنى معك يا نسر •

— لا تخف يامى مجدى •

— ولم لم تذهب الى بيت جابر أو المعلم بدوى ؟

— هنا أمان •

— يعنى ناس تأكل البلح وناس تحدف بالنوى ؟

فى هذه اللحظة سمعنا دقات على الباب ، خفق قلبى بشدة وبدأت
الحيرة والقلق على ملامح مجدى الذى تلفت بارتباك مثل نمر فى
قفص • ماله نحوى وقال محذرا وأصبع سبافته على قمه :

— اسمع ، لا أحد هنا •

كان الطرق سريعا قويا ، وقف مجدى خلف الباب وقال بشئ من
الخوف :

— من بالباب • ؟

فرد عليه المعلم بدوى بنوع من الضيق : افتح يا قيلة •

— أدخل يا أخى نشفت دى •

كان مضطربا ، ينفخ بغيظ ويشيح بيده فى الهواء مرددا :

— هذه مصيبة ، كارثة •

— مالك يابدوى ، حصل ايه • ؟

— النسر ، النسر وقع •

— من الذى قال لك • ؟

— رأيت « البوكس » بنفسى ، أخذوه ..

— ولد يانسر •

— أيوه ياسى مجدى •

قالها النسر من داخل السحارة فتهلل وجه المعلم بدوى وسارع
بفتح جانب الكنبه السحارة : اطلع يانيلا ••

قهقه النسر فى سعادة كأنه لم يكن طريد البوليس منذ لحظات ،
وقف يصفق بيديه ويهتز مترنحا مثل السكير ثم قال :

— افرض يامعلم النسر وقع بصحيح •• تعمل ايه ؟•

— اسكت يانسر ، أنا بيتى كان زمانه خرب •• طول ما العملية

الكيرة ••

سكت وهو يرمينى بنظرات الشك والتوجس فرد عليه مجدى :

— هو من يامعلم ، النسر ابن حرام ، عمره مايقع •

وفى هذه اللحظة دق الباب ثاوية فتملكهم الفزع وانلجع النسر
الى مخبئه مثل الأرنب ثم قال مجدى بصوت جاف : من ، من

بالباب ؟•

— أنا جابر ياسى مجدى •

— معك من ؟•

— افتح ، أنا وحدى •

وقبل أن يخطو بقدمه سأل : « النسر هنا ؟• » وجاء الرد بصوته

من باطن الكنبه : أتريدنى ياعم جابر ؟•

— تعال يا ابن ال ••• أنا الذى أتقذتك الليلة ، لو لم أضلل

القوة لكنت الآن مكلبشا بالحديد •

— أنا أول ما لمحتهم داخلين الشارع ، أخذتها قزح من فوق
الأسطح ونزلت فى الحارة •

— براوة عليك يا ولد يأسر •

— كانت تبقى مصيبة لو النسر وقع والعملية ماتت •

— الليلة تقطعوا عرقا وتسيحوا دما •

— يبقى أنت يا جابر تفهم النسر بالخطه كلها •

— ليس الآن •

قالها وهو يغز بعينه اليسرى ويومئ برأسه مشيراً الى ، فلما
لحظ أننى رأيته ابتسم وقال بنبرة خبث :

— أهلا يا أفندى ، انت منور بلدنا •

— شكرا •

— ياللا ياسى مجدى ، وضب لنا القعدة ، هات الكوتشينة ،

تعال يا أفندى ، تعال ، أنا أريد أن ألعب معك •

— لا ، أنا لا ألعب الكوتشينة •

— لماذا • أأست رجلا ولا مؤاخذه •؟

— وما دخل الرجولة بالكوتشينة •؟

— الرجل لا يخشى الهزيمة •

— أنا أأعبك يا جابر ، الأستاذ كمال ليس له فى الكوتشينة •

— كيف •؟ لا ، سيلعب ، وأنا نفسى أجرب لعب الأفندية •

— انه لا يعرف •

— عن اذنكم ، أريد أن أأتم •

ارتسمت على شفتى جابر ابتسامة باهتة ولمع فى عينيه الغائرتين

بريق مخيف وقال بارتياح :

— أهكذا ؟! خلاص .. سماح النوبة ، وأحلاما سعيدة •

— ١١ —

اشترت حاجياتي من سوق القرية أو « السوقية » كما يسمونه ، وهو مجموعة من يائعات الخضر والفاكهة يجلسن على الأرض بجوار سور جامع سيدى الغنيمى •

ذهبت الى البيت ، فغيرت ملابسى وبدأت فى اعداد طعام الغداء ، بينما كنت منهكا فى تقشير البطاطس ، دخل مجدى فقال باستغراب :

— يظهر انك طبّاخ ممتاز •

— للضرورة أحكام يا صاحبى •

— سأغير ملابسى لكى أساعدك •

ومن داخل الغرفة قال : يا أخى .. البنت سعاد اختفت مرة واحدة •

— أنا على فكرة ، نسيت أقول لك انى رأيته بالأمس •

— رأيته ؟! أين • ؟

— على شط التربة الكبيرة ، عند عيون « أبو الأخضر » •

— ألم تقل انك كنت مدعوا للغداء عند الأستاذ صلاح •

— هه .. نعم ، نعم .. لم يكن الوقت قد حان فتمشيت الى العيون ورأيته هناك •

— حاجة غريبة .. ماذا كانت تفعل هناك ؟! ألم تحدثها ؟!

— لا .. لكن ماهو سر اهتمامك بها هكذا ؟!

- ألا ترى أنها تستحق الشفقة والعطف ١٠٠
- يجوز ٠٠ لكنك تهتم بها أكثر مما يجب •
- سكت برهة ثم خرج وهو يكمل ارتداء الجلباب :
- قلت لك من قبل ٠٠ سعاد فيها شيء لله •
- قالها وجلس يشعل الواور ، لكنى لم أقنع :
- أنا سمعت أنها اتهمتك بقتل زوجها •
- آء ٠٠ حصل •
- قالها وهو يفكر مقطبا ما بين حاجبيه واستأنف :
- لكنها لم تهمنى وحدى ٠٠ اتهمت كل أصدقاء زوجها ٠٠ وأنا واحد منهم •
- وايه الدافع وراء اتهامها لك ؟
- أصل الحكاية ان البلد كانت فيها راقصة اسمها « سندس »
- ٠٠ وكنت أنا والأسطى حسن زوج سعاد نسهر عندها ٠٠ وطبعاً سعاد حاولت أن تمنع زوجها من الذهاب معى ففشلت وأحست أننى السبب فكرهتنى ٠٠ وهذا ماجعلها تهمنى •
- واضح أن علاقتك بزوج سعاد كانت قوية جدا •
- الأسطى حسن ٠٠ ونعم الصديق ، كان رجلاً بمعنى الكلمة •
- لو أن سعاد اتهمتك بسبب الكراهية يبقى كان من باب أولى أنها تهتم « سندس » !
- لا ٠٠ لأنها تركت البلد قبل موت الأسطى حسن •
- خيم الصمت لحظات ، انشغل هو فى تقليب البطاطس ، وبدأت فى تقطيع الطماطم لعمل السلطة ولكنى كنت أسترجع كلامه وأفكر

كثيرا فى قوله : سعاد فيها شىء لله • ثم سألته :
— مجدى •• هل تعتقد أن الأشخاص الذين اتهمتهم سعاد

كلهم أبرياء • ؟

— تحريات البوليس وتحقيقات النيابة أثبتت ذلك •

— لا •• أنا أسألك عن رأيك الشخصى •

— رأى • ؟ نعم كلهم أبرياء •

— لا ، أنت لا تقول الحقيقة •

— لماذا • ؟

— لأنك اعترفت ضمنا بجزء من الحقيقة •

— كيف • ؟؟

— ألم تقل عن سعاد : « فيها شىء لله » • ؟

— نعم •

— ومعنى ذلك أن الله قد وفقها فى معرفة الجانى وكان واحدا

من المتهمين وبالتالي فأنت تعرفه بحكم الصداقة التى كانت تربطك
بالأسطى حسن •

التفت الى وعلى شفتيه ابتسامة وقال :

— هل كنت وكيل نيابة قبل ذلك •

— أرجوك يا مجدى ، قل لى الحقيقة •

— وايه الفائدة ؟

— لكى أستريح •

— الحقيقة مرة ياكمال ١٠٠

قالها بأسى والسمع يبرق فى عينيه واستطرد :

- سعاد اتهمت شخصا واحدا وبقدرة قادر تحول الى خمسة لتضليل العدالة وكنت واحدا منهم •
- كيف حدث هذا ؟ • ١٩
- لا أعرف • كان كل هوى هو الدفاع عن نفسى •
- اذن فانت تعرف القاتل • • ١
- عرفته بعد ذلك ولم أكن أستطيع تغيير أقوالى •
- ومن هو القاتل ؟ •
- من الخير لك ألا تعرفه •

— ١٢ —

- كتبت خطابا لأخى أطمئنه فيه على صحتى وحياتى الجديدة فى « كفر النسيم » •
- وسألت مجدى : ما اسم هذا الشارع ؟ •
- هنا • • الشوارع ليس لها أسماء • • أكتب العنوان على المدرسة أضمن •
- وهو كذلك • • هه ، أخى العزيز : يمكنك مراسلتى على • •
- انظر • • أبو دعيس جاء ومعه ايه • • يا أبا دعيس ، خذ • •
- تعال •
- نعم ياسى مجدى • • السلام أولا •
- كان يرتدى جلبابا جديدا ، على وجهه غبار السفر ، يملق فى كوعه الأيسر سلة فارغة ويمسك سلسلة مربوط فيها كلب صغير أبيض ، تتدلى أذناه على جانبيه رأسه ، سأله مجدى بشئ من الخبث والرغبة فى المزاح :

- الله ١٠٠ ما هذا ؟ ذكر ولا أنثى ؟
- أنثى • وهادئة بشكل غريب ، وضعتها في السلة وغطيتها بورقة جريدة فلم تتحرك من مصر لحد هنا •
- أيوه ياعم ، لكى تأتى لك بذرية صالحة !
- أتتأبى ١٠٠
- لا صحيح •• أنت ممكن تكسب من خلفتها •
- وبعدين معك بقى ياسى مجدى •
- يا أخى الرجل غير مصدق •
- ولا مؤاخذه يا كمال أفندى •• صاحبك أخذنى فى «دوكة» ••
- كيف حالك ؟
- الحمد لله •
- يعنى من ساعة ما كنا مع بعض لم تسأل !
- لا ، أنا سألت عنك أمس وعرفت أنك فى مصر
- سألت عليك العافية ، والنبي أنت ذوق يا كمال أفندى •
- ياراجل كفاية بولتيكا !
- أبدا والله ياسى مجدى •• الأستاذ كمال ابن أصول بجد ••
- الله يكرمك ياعم أبى دعبس •
- إن شاء الله تشرفنا الليلة ، فيه موضوع بودى أكلبك بخصوصه •
- حاضر •
- يعرض لك الخير •
- اسمع يا أبأ دعبس ، خلىنا فى الجد ، البيضاء •• أسيتها

ايه ١٠

— والنبي انت فائق ورائق .. السلام عليكم .
قالها وهو يشيح يديه واستدار خارجا ، لكنه تذكر شيئا
فرجع .

يسأل مجدى : ألا ، قل لى .. اتم صرفتوا الكيماوى ١٠
— بدأنا فى صرفه اليوم فقط .

— وسمر القطن الجديد ، ظهر ٢٠

— أتريدون أن تنهوا ٢٠ ألا يكفيكم أن الحكومة أعفتكم من
نصف تكاليف مقاومة الدودة ٢٠

ثم التفت الى وقال : « الغريبة يا أخى ان الفلاح منهم يريد أن
ينام فى الظل والجمعية تحلب الأرض وتعطيه » .

— نحن الخير والبركة على كل حال .

— ياشيخ بركة ايه ٢٠ .. البركة من الله .

— طيب على كيفك ياسى مجدى .

وخرج لا يلوى على شىء فقال مجدى بصوت خفيض :

— رجل خائكة .. الله يكون فى عونته ١٠٠

— أبو دعبس طيب وعلى نياته .

— ابن ال .. ايه عنده حنة غزال ١٠

— وانت مالك ومالها .. خليك فى حالك واتق الله ..

— اسكت ياكمال ، اسكت ، أنا تحطمت فى هذا الكفر ، آمالى

تبخرت وأحلامى تظلت عنى .

أشعر أتنى أصبحت كهلا فى الستين أو السبعين .

— أنت أصلا من أين ؟

— من سوهاج •

— ياه ١٠ وماذا جاء بك الى هنا ؟

— حسب رغبتى •

— لماذا ؟

— بسبب عادة الثأر •• عندنا فى الصعيد ، اذا واحد غلط ••

كل أفراد العائلة يتحملون غلطته ويعيشون مهددين ، جئت الى هنا

منذ سنتين أبحث عن الأمان وأحلم ببنت الحلال والعش الهادى ••

لكن للأسف ١٠ الناس ليس لهم شغله الا ترويع الشائعات والحديث

بالسوء فى أمور لا تعينهم ، وهكذا كلبا تقدمت لخطبة فتاة ، أهلها

يرفضونى •• بسبب هذه الشائعات تحولت الى رجل سىء

السمعة • وهكذا تحطمت وانهارت أحلامى •

— لكنى أعرف أن أهل الصعيد يتزوجون فى سن مبكرة ؟

— آه ، حصل •

قالها وتنهى بشئ من الأسى وأكمل : فى الصعيد تزوجت مرتين •

— ياخبر مرتين ١١ •

— نعم ، كانت الأولى ابنة عمى ، أرغموها على الزواج منى وهى

كانت تحب شخصا آخر فلم يحدث وفاق وطلقتها بعد شهرين ••

والثانية ماتت بالسل •

— أكفنا الشر يارب •

— وطلعا من الصعب على رجل تزوج مرتين أن يصوم أو يغمض

عينيه أمام الأنوثة والجمال •

— هل نسيت أن الله نهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ؟
— أرجو أن تحتفظ بنقائك حتى النهاية ، أما أنا فليست ملاكا .
— ان أحدا لم يطلب منك أن تكون ملاكا ، والله اختار الأنبياء
والرسل من البشر لكى لا تقول ذلك .
— احتفظ بكلامك لنفسك .

— أنت بتصرفاتك هذه تسيء الى سمعتى .
— اف ، هذه هى حياتى ، عاجبك تعاشرنى عاجبك .. كمال ،
كمال .. خذ ، تعال . انت زعلت ؟
— أنت مستحيل تكون من الصعيد ا . أين شهامة ونخوة
الصباينة ؟

— حقك على .
— لازم تعرف ان كل حرية لها قيد ، فانت حر فيما تفعل ، لكن
من حقى أن أمنك من الاساءة الى سمعتى .
— غصب عنى ، اعذرنى ، لا تدري مدى ما آكته لك من احترام
ونفسى أبقي نظيفا مثلك ، لكن لا أعرف كيف ، فيه صوت جواى
يصرخ ويقول : « كفاية عربلة ، كفاية ضلال ، لكنى لا أعرف ..
صدقنى ، الشيطان جالس ومربع جواى » .
— لا يامجدى ، الشيطان هو جابر وشلتة ، ابعد عنهم .
— أووه ، حاولت كثيرا .. كثيرا .
— حاول ثانيا وثالثا .

— صدقنى ، مع هؤلاء ، ليس لك خيار ، ان لم تكن صديقهم
فأنت عدوهم .. أنا أعرفهم جيدا لو أصبحت عدوهم قلن يهدأ لهم

- يال الا اذا تخلصوا منى ، ابقى هريانا من دم واقع فى دم • ١٨
 — لم اقل هذا ، انما اتركهم ولا تتعاون معهم •
 — عارف لماذا انا سكتتك مى ١٠ • • لانك ستحبنى منهم •
 — انا • ٢٠

- قبل ذلك كنت وحدى اما الآن فعليهم أن يفكروا مائة مرة
 قبل ايذاءى •
 — أنت خائف منهم للدرجة الرعب •
 — من خاف سلم ياكمال ، صدقنى أنا •

— ١٣ —

- كان الباب مواربا ، طرقت وناديت : يادعيس •
 — تفضل يا كمال أفندى •
 سمعت صوته فدخلت واستقبلنى بحفاوة : يا أهلا وسهلا ،
 تفضل •
 كانت القوالح قد تحولت الى قطع من الجمر ، فوضع غلاية
 الشاي فى وسطها وبدأ يحشو حجر الجوزة بالتبغ قائلا : يا ألف
 مرحبا •

- الله يرحب بك •
 — ايه رأيك بقى يا كمال أفندى • • العيشة فى مصر أحسن ولا
 فى الأرياف • ٢٠

- هنا الحياة لها طعم جميل بسبب المزارع والهدوء • • وبعدين
 القرية صغيرة وسكانها عددهم قليل وهذا يجعل التعارف سهلا
 والعلاقات بينهم قوية •

— بالضبط ، حضرتك لو: سألتنى عن أى واحد أقول لك عليه .
— نكن الخدمات هنا سيئة .

— كيف ؟

— يعنى مثلا الخبز فيه رمل .

— قلة ضمير بعيد عنك واهمال .. أصل الناس يخبزون ولا
يعتمدون على الميش السوقى .. انتظر .. قالها ونهض خارجا
كأنه تذكر شيئا هاما ثم عاد حاملا رغيفين وطبق بلاستيك ، فقدمها
لى قائلا :

— ذق الميش « المرحرح » الذى نخبزه .

— أنا أكلت من دقائق فقط .

— وهل هذا أكل ، امسك .. انها لقمة خفيفة .

— طيب يا عم ، شكرا .

كان الطبق مليئا بالقشدة ، والخبز رقيقا ، فأكلت أكثر من نصف
رغيف وقلت : الحمد لله .

— كل يا كمال أفندى .

— أكلت كثيرا ، اللهم أدمها نعمة واحمها من الزوال .

— آمين يارب .. هل أعجبك خبزنا .

— نعم ، جميل جدا .

— خلاص .. فخلي أم دعبس تخبز لك شوية .

— لا ، شكرا يا عم أبى دعبس .

— لا تعمل تكليفنا .

— لا داعى تتعب الست أم دعبس وهى طبعا تشغلها كثير .

— تبك راحة ، هي ان كان عليها حب الشغل .. تفضل الشاي .
— شكرا .

— أم دعبس ، أنا أخذتها طفلة .. وكانت قبل ما تنام املا
حجرها كرملة وفول سوداني وبلح ، انما الحق .. هي من يومها
« لهلوبة » في الشغل ، ويمكن هذا هو السبب في أنها كانت
تجهض كثيرا فلم يعيش لنا الا دعبس وزعبلة .
— ربنا يخليهما لك .
— الله يحفظك .

— لكن .. ألم تكن هناك أسماء أفضل من دعبس وزعبلة ؟
— دعبس في شهادة الميلاد اسمه مصطفى وزعبلة اسمه عادل ،
انما قلنا : لأجل يعيشا ومنعا للحسد .
— لكن الرسول صلى الله عليه وسلم طلب منا أن نحسن اختيار
أسماء أولادنا .

— بيني وبينك ، أنا كنت متلهفا للأولاد وأريد أن يعيشا بكل
طريقة لأنى قبل أم دعبس كنت متزوجا من احدى قريباتى ، وكانت
لا تنجب ومع ذلك عشت معها خمسة وعشرين سنة ولم أتزوج الا
بعد وفاتها لأنى كنت أحبها كثيرا .

— قلت لى : ان هناك موضوعا تريد أن تحدثنى فيه ؟
— أى نعم ، وهو بخصوص أبنى دعبس .. فهو فى سنة رابعة
ولا أراه يمسك كتابا وأريدك أن تختبره .
— حاضر .

— ياولد يادعبس .. هات كتبك وتعال .

كان فارغ الطول مثل أمه ويحمل الكثير من ملامحها ، خصوص
العينين الواسعتين ، جاء حاملا حقييته المصنوعة من قماش أبيض ،
ابتسم وقال : مساء الخير .

— مساء الخير ، تعال .. اجلس بجانبى .. ما اسمك ؟

— دعيس .

— لا ، اسمك الذى تقوله فى المدرسة ؟

— مصطفى سليمان .

— هل تحفظ جدول الضرب يا مصطفى ؟

— نعم .

— طيب .. قل لى 6×8 تساوى كم ؟

— تساوى .. تساوى ، ٣٢ .

— لا .. تساوى ٤٨ .. هات كتاب المطالعة .

أخرج الكتاب من حقيبته بكسل شديد فقلت له :

— اقرأ الصفحة الأولى .

— د . د . دعاء .. ال .. الصباح .

— شاطر ، اقرأ .

— يارب .

— لا .. اللهم .

— اللهم .. ان .. انى .. أسأل . أسألك .

— أنت باين فى عينيك النوم ، اذهب الآن لكى تنام وغدا بعد

ماترجع من المدرسة ، تغير ملابسك وتأكل ثم تأتى الى .

— يا كمال أفندى .. أنا عاجز عن الشكر .

- أعدك بأن مصطفى سيكون تلميذاً نشيطاً .. والآن اسنح لى
 أقوم .
 — انت شرفتنا ونرجو أن زيارتك تتكرر .
 — ان شاء الله .

— ١٤ —

- كانت الطاولة مفتوحة ، لكنهم مشغولون عنها بالنظر فى الصحيفة
 ألقيت التحية وجلست ، كان يتحدث فاستمر يقول :
 — ليس من المعقول أن نرفض وجود كائنات أعقل منا ولديها
 وسائل انتقال أسرع وأعظم من سفن الفضاء التى ..
 — على مهلك يا حضرة الفيلسوف .. عن أى شىء نتحدث ؟
 — ألم تقرأ ماكتبته « الأخبار » عن اختفاء طيار استرالى بعد
 مطارده لطبق طائر ؟
 — لا .

- اذن فاقرأ هذه السطور .
 — ملبورن « استراليا » — وكالات الأنباء — فشلت الطائرات
 والزوارق الاسترالية فى العثور على أثر لطيار استرالى اختفى منذ
 أربعة أيام بعد أن أبلغ عن جسم طائر لا يعرفه يقوم بمطارده .
 — ها ، ما رأيك ؟

- شىء عادى ، أذكر أننى قرأت عن طبق طائر نزل فى قرية
 برازيلية وخرج منه عدد من رواد الفضاء — سرقوا خمسة عشر
 دنجاجة وستة خنازير .

— ها ، ها ، لا بد أنهم كانوا جائعين !

— انها ليست نكتة •

— معنى ذلك أنهم جاءوا يلتقطون عينات حيوانية من الأرض ١٤٠

— احتمال كبير •

— يا جماعة .. الأطباق الطائرة أصبحت ظاهرة علمية لا يمكن
انكارها •

— وكيف نكرها بعد مقاله عنها أينشتين أعظم علماء الرياضة في
كل العصور •

— أيوه يا صلاح ، أنا عارف اناك معجب بأينشتين •

— انه كان يتحدث في التلفزيون الأمريكي عن أصحاب الأطباق

الطائرة فقال : لا أستبعد أن يكونوا أناسا عاشوا على الأرض من
عشرين ألف سنة •

— ياه ! • عشرون ألف سنة • ا وهل هذا معقول ؟•

— على هذه الأرض لا .. اعتقد أن أينشتين مخطئ •

— بقى انت ياسيد يا عطوة تعرف أحسن منه !•

— بالقرآن يا أخى .. القرآن يؤكد وجود سبع أراضى مثل

الأرض التى نعيش عليها مما يستوجب أن تكون عليها حياة
مشابهة لحياتنا .. ويتضح ذلك في قوله تعالى :

« الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن » • (صدق
الله العظيم) •

— لكن المخلوقات العاقلة لا توجد الا على أرضنا متمثلة في

الانسان •

— لا يا محسن .. الانسان ضورة من صور المخلوقات العاقلة

لأن القرآن الكريم يتحدث عن وجود مخلوقات عاقلة •
— فعلا ، إنما السؤال الذى يطرح نفسه ، هل هذه المخلوقات
أعقل منا ؟

— بالتأكيد •• وهذا مادفع كارل يونج أعظم علماء النفس
المعاصرين — لكى يبعد عنا المخاوف — يقول : كل عصر وله خرافاته
وأن خرافة هذا العصر ••

— لا ، لسنا فى عصر الخرافات •• لا •
— ياسلام عليك يا عبطوة ، انتظر يا أخى •
— يونج يقول : فى عصر انتشرت المغاريت والأشباح وفى عصر
ظهر حجر الفلاسفة الذى يحول المعادن الى ذهب وفى عصر آخر
نجد أكسير الحياة الذى يمد الشباب أما هذا العصر العلمى ففيه
خرافة الأطباق الطائرة •

— معنى ذلك أنها ظاهرة وقتية سوف تنتهى بعد فترة •
— لا ، لا : أحدث النظريات العلمية تقول أن الأساطير القديمة
لم تكن من صنع الخيال لكنها تتحدث عن أشياء حدثت فى العصور
القديمة •

— طيب ، معنى هذا أن كلام يونج غلط • ا
— لا يا عبطوة •• يونج نفسه اعترف بظاهرة الأطباق الطائرة ،
لكن يظهر أنه بحكم مهنته أراد أن يريح الناس فقال : ان هذه
الأطباق خرافة اخترعها العقل الانسانى لكى تريح الناس وتتجسد
فيها أحلامهم ورغباتهم فى الهرب من الأرض وهمومها •
— وهل هذا معقول ؟ كيف يرتاح الناس أمام هذه العقول
الجبارة القادرة على تحويل الأرض الى حقل تجارب •

— انها مهذلة .. مثلما الطيور والأسماك لاتفهم مالذى نصنعه
 بها فكذلك نحن لا نعرف مالذى يدور حولنا فى الكون الواسع .
 — طيب ، ايه العمل لو نزل طبق طائر عندنا فى كفر الغنيمى ؟
 — عجيبة عليك ياممدوح ، بقى الدول المتقدمة عاجزة أمام هذه
 الأطباق وتظن أننا يادولة قامية .
 — لكن يا عامر ، مانراه فى حلقات « ستيف أوستن »
 « والبايونيك وومان » يؤكد أن أمريكا تستعد لمواجهة هذه
 الأطباق .

— يا أستاذ محسن ، هذه الحلقات من وحي الخيال .
 — لكنها تعبر عن حقائق .. أو هى انعكاس للواقع .
 — كيف ؟

— ايه رأيكم ياجماعة تتكلم عن مشاكلنا المحلية وبلا شئ من
 « اللغوصة » فى الأطباق والصعود .
 — انها قضية المصر يا أستاذ صلاح .
 — وليكن .. مشاكلنا أهم .
 — أنا أضمر صوتى لصوتك .
 — عامر لو اتبعناه يوصلنا للالحاد أو الجنون .
 — ويظل هو عاقل ا .
 — ها . ها ها .
 — اتم أحرار .. ارم الزهر يامحسن .

— ١٥ —

لمحتها خارجة من عندنا ، كان مجدى يرتب الحجرة والمرق

يتصبب منه ، ذرات الدقيق تملو ملامحه وتبدو على جلبابه الأخضر
بوضوح ، أشار الى سلة الخبز قائلا :

— أحضرتها أم دعبس الآن •

— وهل كنت تساعدنا ؟

تنبه ونظر في جلبابه ، تقض عنه الدقيق وأجاب :

— وضعت معها سلة الخبز في هذا المكان ، لأنها كانت ثقيلة عليها •

— وطبعا كافاتك بقبلة طويلة •

— أنت ، تفكيرك شطح لبعيد قوى •

قالها بغضب وهو يرمقني بنظرة حادة ، مد يده الى السماعة
فتناول جلبابا نظيفا وفوطه ثم خرج متجها الى الحمام ، غيرت ملابسى
وأنا ألوم نفسى : « لقد تسرعت ، ماكان يجب أن أكشف عن أفكارى
هكذا ، لكنى رأيتها وهى خارجة من هنا ، كان الدقيق يغطى كل
ملابسها ولا بد أنه احتضنها • • اللهم اخزك يا شيطان » •

جلست أقطع صينية الأرز ، فجذب انتباهى شئ وردى ملقى
باهمال تحت السرير ، اقشعر بدنى ، تأكدت الآن من صدق
احساسى ، غلى الدم فى عروقى ورددت فى نفسى :

— عمر ذيل الكلب ما يستقيم أبدا ١٠

جاء يصفر وهو يفرك شعره بالفوطه وقال باتعاش :

— ياسلام • • الواحد جسه فاق •

— من الرزيلة ١٢ •

— تقصد ايه ١٣ •

— أقصد هذا القرف •

- رأيته ؟ .. وايه يعنى يا أخى !
- ايه يعنى ؟ صحيح ، أن لم تستح فافعل ماتشاء !
- أستحي ؟ .. يعنى ايه ؟ !
- فيه مبادئ وقيم لازم تراعيها .
- مبادئ ؟ وقيم ؟ ها . ها .. أنت طيب .
- هذه الكلمة تترقزنى .. بقى معناها : انى ساذج .
- لا ، انت غلطان ، أرجوك لاتحرف كلامى ، وخلينا أصحاب على طول .
- أصحاب ؟ وهل هذه أصول الصحبة ؟
- آه .. فهمتك الآن ، تفار منى وتريد أن تشاركنى فيها .
- الحرامى يقطن كل الناس مثله .
- اذن فأنت أما أن تكون مخصيا أو ..
- ياقدر ، احترم نفسك .
- ألسنت رجلا ، أليس لك شهوة ؟ !
- لكننى أتصرف بعقلى ولا أنساق لفرائزى بل أصبر حتى أستمتع بها فى الحلال .
- ومتى يأتى هذا الحلال ؟
- وقت أن يشاء الله .
- آه ، بعد عشرين سنة ، على ماتحوش المهر الذى منه وساعتها تبقى على المعاش ، أنت متفائل .. صدقتى ، أما أنا فاحينى اليوم وأمتنى غدا .
- سبتكون آخرتك سوداء ،

— أترى هذا ؟ ١٢٠ خذ ، تعال ، إلى أين ذاهب ؟ —

— ١٦ —

تسرب الصداق إلى رأسى من ضجيج الطاولة وكثرة الأصوات المتداخلة :

— جهاز ، يك .. حتى الزهر معاكس معى •

— لأنك مفتر ، أنت مفتر •

— دبش ، أمسكه •

— دورجى .. ضاعت ، ضاعت يا ناصح •

— عامر خلى الطاولة مثل البيانو •

— صلاح فاكرا أنه يقدر على •

— صبرك يا فيلسوف القبرة •

فكرت فى الانصراف ، لكنى لمحت سيد غطوة ، دخل حاملا دفتر

شعب والصحيفة اليومية ، ألقى التحية وجلس إلى جانبى ، فأخذت

منه الجريدة. وبدأت أتصفحها •

— ماذا حدث ؟ أليس النقيب سبير هو الجالس هناك ؟

قالها سيد غطوة بصوت هامس مشيرا بإصبع إبهامه إلى الركن

الأسير حيث يجلس شاب أسير مقتول العضلات •

— لابد حاجة حصلت فى المركز •

— وحاجة خطيرة بالتأكيد •

— أقوم وأسأله ؟

— هل جئنت ، ربنا يجعل كلامنا خفيفا عليهم •

— اللعب ياسيدى ، خلينا فى الطاولة •

- استعد يا كمال .. محسن لن يفلت من « المارس » •
- عطوة يلاعبك حتى انتهى من قراءة هذا التحقيق •
- أقرأه بعدين •
- لا ، انه تحقيق مشير •
- ياه .. عن ماذا ؟
- علماء أمريكا يكتشفون الذهب فى قاع المحيط •
- ياسلام .. هذه هى التكنولوجيا والا فلا •
- ونحن مازلنا مشغولين بالبحث عن نجوم الشاشة الفضية •
- الفقر له ناس « بالمنية » •
- الحاجة التى تغيظ وتفقع ان بلدنا كلها خيرات ، تصدقوا ان صحراء سيناء فيها مادة أغلى من الذهب •
- فيها ايه .. ماس ؟
- يورانيوم .. وعلماء الغرب يتوقعون أن تصبح مصر أغنى دولة فى الشرق الأوسط •
- لا ، الأعجب من هذا أن الصحراء الغزبية فيها آبار بترول مردومة •
- مردومة .. كيف ؟
- عندما قامت الثورة وبدأت حركة تأميم الشركات الأجنبية ، حرق الخبراء الخرائط وردموا الآبار •
- الأدهى من ذلك أنهم يصطادون علماءنا .. هل نسيتم ما فعلوه بالدكتور مصطفى مشرفة ؟
- عليهم اللعنة •

— على قدر ما عقولهم كبيرة ، على قد ما قلوبهم مليئة طمعا وأثانية .
— أما لو كل دولة كبيرة تطمع فى ثروات الدول النامية ربنا
يسلط عليها طبق طائر يفتك بها •

— حيلك ، حيلك •• أتريد للعالم كله الدمار ؟
— والنبي يا محسن خليلك واقمى وبلا شئ من الأحلام •
— أنا رأى ان الأمل فى تكتل الدول النامية لمواجهة ••
— يا أستاذ كمال ، من أين يأتى هذا التكتل ؟ وكل حكومة
تخاف من الأخرى ولا تطمئن لأية نوايا حسنة ؟
— آه •• للأسف ، مشكلة السلطة أبعدت الدول النامية عن
بعضها البعض مع أن المصلحة واحدة •

— ياجماعة ، المشكلة تنبع أساسا من غياب الوعى •
— يا أخ عطوة •• الدول المتقدمة فيها السلطة للشعب ، والحكومة
وفليفتها المحافظة على مصالحه ، أما فى الدول النامية ، الحال
مقلوب •

— غصب عنها لازم تكون هكذا خوفا من الانقلابات ودسائس
الدول الكبرى •

— الدول النامية فى حاجة لزعيم قوى •
— لو فيه وعى ••
— واقرض يا عطوة ان الناس عندهم وعى ، لكنهم جائمون ؟
— بس ، كان يبقى فيه مبادئ متفق عليها •
— يكون فى علمك ان الجائع لا يفكر فى حريته طالما يبحث عن
رغيف ال ••

فى هذه اللحظة كان الضابط سمر يقف ورائى ، نظروا اليه
وانعقدت الستهم كان على رؤوسهم الطير •

— مساء الخير يا جماعة ، استمروا كما كنتم •

قالها وسحب كرسيها ، فجلس الى جانبى ثم طلب ان يقرأ برج
الحظ فأعطيته الجريدة •

— جهاز ، سيه •

— فك وارحل •

— دوارة • • يعينى على الحظ •

— هل قرأت هذه ؟ •

قالها ومال نحوى هامسا : سأنتظرك بالخارج ، لا تتأخر •

ثم طوى الجريدة وقام شاكرا •

— ١٧ —

كانت هناك سيارة جيب خضراء داكنة تقف خلف النادى ، فتح
بابها قائلا :

— تفضل يا أستاذ كمال •

— الى أين ؟ •

— أحتاج الى مساعدتك ، اركب •

شعرت بالأمان فركبت وانطلقت السيارة ، علت شفطيه ابتسامة
رقية ، كان يتمتع بقدر وافر من الوسامة • يقبض عجلة القيادة

بقوة ، ويحرك معها ساعديه المفتولين بخيوية زائدة كأنه واحد من
ابطال الأفلام البوليسية •

— ألا تعرفنى ؟ •

هكذا سألتني والابتسامة لا تزال تملو شفثيه ، فكرت قليلا ثم

أجبت :

— ملامحك ليست غريبة على ، لكنني لا أذكر أننا التقينا ..

— اذن فقد نسيت زميلك .

— لكنني لا أذكر أنني ..

— ألم تكن في مدرسة روض الفرج الابتدائية ؟

— نعم .

— أنا سمير عبد الكريم ، وكنت رئيسا لفريق كرة القدم

بالمدرسة .

— فعلا ، تذكرتك الآن ، كنت تسبقني بثلاثة أعوام ، ياه ..

زمن ١٠

— فرحت كثيرا عندما علمت أنك تعمل هنا ، فأخيرا وجدت

الرجل الذي أثق به وأستطيع أن أعتمد عليه .

— أنا تحت أمرك وأشكرك على هذا الشعور الطيب .

— علمت أنك تسكن مع العرييد .

— قصدك مجدى ؟

— أيوة ، قل لى ، أنت ايه رأيك فيه ؟

— أعتقد أن كلمة عرييد هي أنسب وصف له وإن كنت أشعر

أحيانا انه مسكين .

— لماذا ؟

— انفرس فى الوحل وكلما حاول أن يتراجع انفرس أكثر .

— كيف ؟

— ورط نفسه فى علاقات مع الأشقياء •

— أشقياء مثل من ؟

— المفروض أن حضرتك أدري منى بهم •

— لا بالعكس ، أنت تعيش بينهم وقراهم عن قرب •

— لكنى لا أجالسهم وأقضى معظم الوقت فى النادي •

— المساعدة التى أطلبها منك أن تقترب منهم وتعرف الأعمال التى يفكرون فيها •

— تبقى حضرتك محتاج الى شرلوك هولمز •

— أنا شخصيا أحبه ، ومع ذلك لا أطلب منك أن تكون مثله ،

فقط أريد أن تمدنى بما يتوفر لديك من معلومات بحكم وجودك بينهم •

— وافرض اننى لم آت للعمل فى هذا الكفر ؟•

— هل تعنى أنك لن تساعدنى ؟•

— أقصد لماذا لم تطلب من شبان النادي أن يساعدوك ؟•

— انهم جبناء •

— أطلبت منهم فتقاعسوا ؟•

— نعم •• بعضهم خاف وبعضهم تربطه بالأشقياء صلة قرى •

— وبعضهم يتهم رجال الأمن بالتقصير •

— لماذا ؟•

— خذ مثلا قضية الأسطى حسن زوج سعاد المجنونة •• هل أنت

مقتنع بتقييدها ضد مجهول ؟

— أحيانا يكون التقييد ضد مجهول من مصلحة القضية •

- تقصد أنها خدعة ؟
- وايه المانع ؟
- هذا يجعلنى أشك فى سعاد ؟
- من ناحية ايه ؟
- يخيل الى أنها ليست مجنونة •
- اذن فأنت أخطر من شرلوك هولمز • • ها ها ها •

— ١٨ —

- أحضرت لها رغيفا وثلاث قطع من السمك ، وضعتها فى حجرها :
- خذى ياسعاد •
 - فتحت الورقة ، نظرت فيها وابتسمت : ربنا يخليك •
 - كلى ياسعاد •
 - كان مجدى يشعل النار فى المنقد ، تصاعد من القوالب دخان كثيف يلهب الجفون ويسيل الدمع :
 - كفاية دخان بقى يامجدى •
 - خلاص ، القوالب بدأت تصفو •
 - مساء الخير •
 - أطل بوجهه المسحوب كأنه غفرت ، خرج من سحابة دخان •
 - أهلا مساء الخير •
 - أين كنت ياسعد ؟
 - فى الدنيا الواسعة •
 - جلس وهو يمز رأسه بحركة تمثيلية ، ركز عينيه عليها وسألها :
 - ماذا تأكل سعاد ؟ هاتى حبة سمك •

— يا جدد اتركها في حالها •
 كانت تأكل بنهم ، فلم تحفل به ، استدار نحوي قائلا :
 — يا سلام يا كمال « ييه » لو رأيتها قبل أن يموت زوجها ••
 كانت نواراة مفتحة •
 — قم ياسعد ، هات ورقتين « ممسل » •
 — ورقتين بس • ؟ قل ثلاث ، أربع ورقات وخرج فسمعنا من
 يسأله بلهفة :

— عم جابر هنا ياسعد • ؟
 — لا ، ادخل •• ادخل •
 — مالك يا ولد يا حسين • ؟
 — لا مؤاخذه ياسى مجدى ، أنا عارف انى أزعبتك كثيرا •
 — ها ، وبعدين •• تكلم على طول •
 — البوكس نزل الكفر ياسى مجدى ، خبثنى اعمل معروف •
 — تعال ، جاءتك داهية •
 جذبه من ياقته وفتح جانب الكنبه السجارة ، دفعه داخلها كأنه
 يشحن خروفا فى قفص •
 ثم قال موجها كلامه اليه :
 — ناس تأكل البلح وناس تحذف بالنوى •
 — ليس لى بركة الا انت ياسى مجدى •
 — أما تشوف •
 اسدل كسوة الكنبه ثم وضع غلاية الشاي على النار والتفت
 بسألها بشيء من اللين :

— سعاد أين كنت مختفية ؟

لكنها لم تجبه وظلت تنظر فى حجرها وهى تقضم وتبضع ، مد يده الى ذقنها ورفع وجهها فنظرت له بعدم ارتياح ثم تملصت منه :

— يا أهل الله .

— سعاد .. لماذا اختفيت كل هذه الأيام ؟

— يوه . !

واستطرد فى حنين مصطنع : تعالى يا أم سعد .

دخلت بعودها الجاف وثيابها المهلهلة : اتسوا بالخير يا أولاد .
قالتها وهى تمسح المكان بعينها الخاليتين من الرموش :

— هو سعد ليس هنا ؟

— لا ، كان هنا وخلص . !

— والنبي ياسى مجدى ابقى شيعه ، أنا جهزت العشاء وقاعدة

منتظراه .

— حاضر ، حاضر يا أم سعد .

— يحضر لك الخير يا بنى .

واستدارت نحو سعاد بنظرة ثاقبة :

— وأنت يا أختى قاعدة هنا تعلى ايه ؟ .. تأكلى .. جاءتك

زغدة .. أعطى وتعالى أزوجك لسعد .

— روحى يا أم سعد الحقى المشاء قبل ما التقطه تأكله .

— لا ، لن تعرف طريقه .

— طيب ، اذهبنى ولما يأتى سعد سأبعثه اليك .

- على طول والنبي يابنى .. اتمسوا بالخير .
- مع السلامة .. يحملك فى كنكة ١٠
- المارة الأخيرة قالها بصوت خافت واستطرد :
- يا أخى ، هذه المرأة عمرها مجيس بشكل ١٠
- ولم يكذب انتهى من كلمته حتى سمعنا سعاد تعاني من «الزغطة» .
- فقال لها : مالك ؟ .. هى حسدتك ولا آيه ١٢٠
- من هى ٢٠
- قالها جابر ودخل فصافحنا وجلس مكرراً : من هى ٢٠
- أم سعد .
- أما زالت عايشة ١٢٠
- وكانت هنا منذ دقيقة .
- وكيف حسدتك وأنت مثل المعجزة يابنت ال ..
- آء .. احسدها انت بقى .
- بنت ياسعاد ، انت فمك فيه آيه ٢٠ .. وابور طحين ١٢٠
- انت يعنى مهتم بسعاد قوى الليلة ٢٠
- ونحن عندنا كم سعد ، الفرر غداً يابنت .. لا تتأخرى .
- خلاص اتفقتوا ٢٠
- خير البر عاجله .
- وطبعاً انت والأستاذ من أول المعازيم ، فلا تتأخرا .
- ان شاء الله وربنا يتم بخير .
- مبروك ياعم جابر .

— الله يبارك فيك ، ابقى يامجدى هات معك « الطينجة » التى
كنت تصلحها •

— لا •• رجعت لصاحبها •

— ياه •• والثانية الروسى ؟•

— مازالت معصلة ولن تنفع •

— ياخسارة •

— أستاذ كمال ، يا أستاذ ••

— تعال يادعيس •• ادخل •

— لو سمحت كلم والدى •

— يا حلاوة ياجدعان ، دعيس عرف يتكلم ويقول « والدى »

•• ها • هاى •

قالها جابر بمزيج من الخبث والحق ، بينما قال مجدى :

— على فكرة •• دعيس سأل عنك قبل ذلك •

— طيب عن اذلكم •

— ١٩ —

كان أبو دعيس يرم بيده اليمنى مغزلا خشبيا يتدلى من اليسرى

القابضة على قطعة من صوف الأغنام •

انفرجت أساريه وتهلل وجهه :

— بقى يعنى الواحد بيعث لك عشرين مرسالا لكى يراك •

— الحقيقة ، أنا تأخرت فى النادى ، لكن والله كل يوم أسأل

عنك •

— بلغنى ، سألت عنك العاقبة •• يا ولد يادعيس ، اعملوا

الشاى •

قالها والتفت يسألنى : أم نجدد عشاء ؟

— لا ، أنا اتمشيت •• الحمد لله •

— كنت الصبح تمبان قوى ، صدرى كان مكتوما •

— ألف سلامة •

— الله يسلمك •• فضلت آجح ، وكان سكيننا يمزق صدرى ••

فذهبت للدكتور قام كتب لى هذه الأدوية •

— كلها • ا

— والغريبة أنه لم يقل بصراحة ، أنا عندى ايه •• لذلك أريدك

أن تقرأ الكلام المكتوب على هذه الأدوية لكى أستريح وأعرف

أنا عندى ايه •

— لا ، بسيطة ان شاء الله •

— وبعدين ياكمال افندى ، أريد أن تخبىء عنى أنت أيضا •

— لا ، أبدا •• لكن أريدك ألا توهم نفسك وتكبر المسألة •

— هى حاجة بالعقل ، لو لم أكن عندى حاجة خطيرة ما كان

كتب كل هذه الأدوية •

— طيب ، انتظر حتى أقرأ •

فتحت العلب وأخرجت منها النشرات الطبية فوقعت فى حيرة

لأنها تشير الى أن حالته خطيرة فعلا ، وكلها أدوية تعالج حالات

مثل الذبحة الصدرية وضيق التنفس والربو الشعبى ••

أشفقت عليه فقلبت :

— يظهر يا عم أبى دعيس أنك كنت عرقانا وعرضت نفسك لتيار

هواء •

- ياه •• ويقوم يكتب كل هذه الأدوية ١
- طبعا •• لكن المهم أنك تواظب على العلاج ولا تعجز نفسك
- بالشفاء ان شاء الله •
- الله يكرمك •• يا ألف مرحبا •
- الله يرحم بك •
- أعمل حسابك أن غدا بمشيئة الله سنتغذى معا •
- غدا سأكون في مضر لزيارة أخى •
- طيب ، يصح بقى ان أم دعبس تعمل فطيرتين و ••
- لا •• شكرا ، شكرا •
- لا تعمل تكليفا •
- أبدا والله ، انت عارف زحمة المواصلات ، وان كان على
- الفطير سأطلبه فى الوقت المناسب •
- صحيح ؟ •
- أى والله •• وأرجو أن تنادى على غدا اذا استيقظت فى
- وقت مبكر •

— ٢٠ —

- رجعت حوالى العاشرة مساء ، كان الكفر غارقا فى ظلمة حالكة ،
- سألت عسكري المرور القابع فى الكشك :
- هل تيار الكهرباء مقطوع عن الكفر ؟ •
- يظهر أن أحدا لعب فى المحول ، آه •• لازم يقصد أن فرح
- ابنة شيخ الخفر ينقلب فوضى •

مشيت بمحاذاة الطريق الزراعى ، تحت الأشجار الضخمة ، كانت
الترعة شبه جافة والضفادع يعلو نقيقها ثم ينخفض ليعلو من جديد
شعرت بحركة غير عادية فتوقفت .

لمحت شبحا ينزل الترعة ، اقشعر يدى ، حاولت أن أراقبه من
وراء جذع شجرة ، كان يحمل شيئا ويمبر الترعة ، لكن قدميه
تفوصان فى الوحل ويرفهما بصعوبة ، تملكنى القلق ، حبست
أنفاسى ، ومرت لحظة ثقيلة كثية حتى أقبلت سيارة فأضاءت
المكان ، تنفست الصعداء وجريت إليها :

— سعاد ، بنت ياسعاد ، ماذا تفعلين ؟ وما هذا ؟

— هه ، هه .. أ .. أستاذ كمال . ربنا يخليك ماتقول لأحد .
ربنا لا يفضح لك ولىة .

— ماذا ستفعلين بهذا الحطب ؟

— « اتركنى وحياة الغالى عندك ، وكافك لم ترنى .. كافك ام
ترنى .. »

اختفت فى الظلام ، واصلت سيرى وأنا فى منتهى التعجب :

— لماذا هى مرتبكة . وما فائدة الحطب لها ؟ ماذا ستفعل

به . ؟ .. لا بد أنها تخفى شيئا فيه .. هل تحولت الى السرقة
والخطف ؟ .. يالها من مسكينة !

وجدت الباب مواربا ، دفعته ودخلت وسط الصنعة ، تمثرت فى
المنقد ، ناديت : مجدى ، مجدى ، مجدى .

لكن أحدا لم يرد ، قلت لنفسى : « ييلو آله خسر ج الى
الديكان » .

تحسست طريقي الى الكنية ، جلست ، مررت دقائق ولم يعد ،
خلعت الحذاء وتمددت ، سمعت وقع أقدام ، كانت مفاجأة مذهلة
عندما قالت بصوت هامس : مجدى .. يامجدى .

— ليس هنا .

— أنت ١٩٠

قالتها بخوف وانطلقت خارجة تسحب خيوط العار والخزي .
نفخت من شدة الصيف :

— أف ياخائنة . ا عليك اللعنة ، أين أنت من سعاد الوفية
المخلصة .

— ٢١ —

فتح دفتر الشعر ورفع يده قائلاً : بس ، بس .
وكان ينطق الباء ممدودة ثم استطرد : سأقرأ لكم أحدث
قصيدة .

— قال يعنى سيقراً بيان مجلس الوزراء . ؟
قالها بسخرية وهو يشيح بوجه شخص لم أره فى النادي من
قبل ، فرماه عطوة بنظرة غاضبة ورد بنبرة متشنجة :

— تعرف ياطلعت تنقطنا بسكاتك . ١٩

— خلاص يا عطوة اسمعنا قصيدتك .

قلتها محاولاً تهدئته فمصص بشفتيه وبدأ يقرأ :
إذا المنية لاحقت انساناً علت ذكراه كوكب النسيان
الا من رحيق غرسه الانسا ن ينتشر عطره فى كل مكان
ولم يكذب يقرأ هذين البيتين حتى دخل عامر قائلاً :

— لا تسرح بهم ياسيد يعطوة ، حرام عليك .. السلام عليكم ، كيف حالك يا أستاذ كمال ؟
— الحمد لله •

— هل قرأت جريدة « الجمهورية » ؟
— لا ، قرأت « الأهرام » •

— اذن فاسمع هذا الخبر .. هبط فى الكويت طبق طائر ، قالت الصحف المحلية : ان ثلاثة مواطنين كويتيين وموظفا أمريكيا شاهدوا الطبق الطائر وحاولوا الاتصال بالجهات المسئولة ولكن هبوط الطبق قطع جميع الاتصالات التليفونية بالمنطقة •

— مادام نزل فى الكويت ، ليست بعيدة أنه ينزل عندنا فى الكفر • ١

— لكن لماذا عطل التليفونات ؟ ١٢

— يا جماعة انتظروا حتى اكمل الخبر •
— قل يا عامر ، اكمل •

— .. وقد وصف شهود العيان الطبق بأنه دائرى فى حجم الطائرة ، تجره قاطرة وتعلوه قبة عليها ضوء أحمر وتغمر الطبق أضواء باهرة • وأضافوا أنه أقلع بشكل عمودى بعد سبع دقائق من هبوطه •

— يعنى هو مثل الطائرة الهليكوبتر •

— غريبة ان الطبق يظل واقفا سبع دقائق وهم عاجزون عن عمل أى شىء •

— خيبة ، لو أنا كنت ..

- يعنى كنت تعمل ايه يا ناصح • ؟
- شىء طبيعى أن المفاجأة أذهلتهم •
- يجب أن نستمد من الآن لكى لا نضرب لكمة اذا نزل عندنا •
- أيوه ، افضحنا انت افضحنا •• لكى يقولوا هذه المرة : ان الشراقة عزموا الطبق الطائر على الغداء •
- ها • ها • ها •
- الله يجازيك يا عامر • ا
- لا ، اطمئن ، لن تراه أبدا •
- صحيح ، الكويت وفيها بترول ، انما كهر الغنيمى فيها
- ايه • ١٩ •

- الشىء المحير : من أين جاء هذا الطبق ولماذا جاء ١٩ •
- والله نرجع ونقول : كان ياما كان •• كان فيه زمان حضارات كثيرة ظهرت واختفت قبل الأوان ثم أعيدت الحياة اليها من جديد بشكل مختلف •
- فعلا •• التاريخ القديم يتكلم عن حضارات كثيرة اختفت وتركت وزاها الغازا مثيره ، من ضمنها مثلا : أهرام الجيزة التى تشير أطرافها الى الجهات الأصلية بدقة مذهلة •
- الشىء العجيب أنه ، مادامت هذه الكائنات متقدمة جدا •• فلماذا لا تدبر مع الإنسان حوارا حضاريا ١٩ •
- صح •• وهذا دليل على الفطرة والعذوائية •
- يا جماعة ، اللغة مفقودة •
- وأيضا طبيعتهم مختلفة •

— صح .. انما العملية فيها غطسة ، معنى لو أن رجلا من هولة
متقدمة نزل في قلب غابة افريقية ، يستحيل أن يتم أى تفاسهم
بينه وبين الافريقى البدائى ساكن الغابة .

— لا ياسيد .. على الأقل الناحية الانسانية ستدفعه ..
— أبدا ، من رابع المستحيلات أن يحدث حوار بينهما لأن هذا
الأوربي ان لم ينظر الى البدائى نظرة استعلاء فهو سيخاف منه
وبالتالى ..

— يا جماعة نفسنا نعرف : من أين ولماذا تأتي الأطباق الطائرة ؟
— علمها عند ربها .
— اسمعوا القصيدة الجديدة .

— أرجوكم ألا تصفقوا ولا تهرجوا حتى تنتهى سلامة من
الغناء . !

— أنا سلامة يا ابن الفقى .
— اسم الله عليك يا ابن البخيل .. أبوك يربط للبطيخة رأسها
بمنديل .

— يا أبا « أبورة » يا ابن الذى يلم « الأبور » من على
الجباين .

— هكذا ، طيب خذ ، خذ ..
قالها طلعت بعنف وهو يكيل الضربات والكلمات فى وجه سيد
عطوة وبين ضلوعه . هاج النادى وتحول الى حلبة مصارعة بين
عائلى هنداوى ومنشاوى . وبدأ التخريب والتكسير ، فأدات
اللبب والكراسى ترتفع وتطير فى الهواء لتسقط على الرؤوس

وتدمى الوجوه • أحسست بارتباك شديد وأتقذنى صلاح الذى
أمسك ييدى قائلا : هيا بنا ، مالنا يا عم ومال هؤلاء الفجر •

— ٢٢ —

كان يصلح مسدسا قديما ، التفت بشئ من الفزع وقال بنبرة
غاضبة :

— يا أخى تكلم ، قل : احم •

— خفت • ١٩

سكت ومرت فترة من الصمت ، أخفى المسدس وجاء يسألنى :

— ايه السبب اذك تأخرت هكذا ؟ •

— منى ابنة الناظر متأخرة فى دروس الفرنسية و • •

— يا وعدى •

قالها بطريقة عجزية وهو يصفق ويهز رأسه كأنه يشجع راقصة
خليعة واستأنف قائلا :

— وصلت يا أبا كمال ، أت وصلت •

— لا أعتقد ان حضرة الناظر يفكر على هذا النحو •

— مالنا ومال الناظر ، هى السنارة غمزت وخلص •

— وحياتك السنارة ضائعة • • ولملك الشخصى أن أخاها

الصغير يجلس معنا أثناء المذاكرة •

— وايه يعنى ، المهم انها نظرة فبسة فقبلة وبمدين الحقنى يا بابا

• • • هذا أحبه وهذا أريده •

— يا سلام على أفكارك النيرة ١٠

— اسألنى أنا عن بنات اليوم •

— السؤال لغير الله مذلة ، قل لى .. أين الأكل ؟

— عندك ، فوق المنضقة .

بدأت أمضغ طعامى وأنا شارد بأفكارى مع وجهها البضاوى
المشرق وشعرها الفاحم الجميل وعينيها اللليتين بكل مصافى
المذرية ..

تنبهت فجأة على صوت جابر شيخ الخفر يقول لمجدى :

— مصيبة ، حصلت لى مصيبة .

— حصل ايه كفى الله الشر ؟

— البندقية أم روحين سرقت .

— سرقت كيف ؟ أين كنت تخفيها ؟

— فوق السطح ، فى الحطب .

— وتشك فى من ؟

— لا أعرف .. اتقى لم أخبر أخدا بمكانها .

— ألم تخرجها ليلة الفرح ؟

— لا ، لا لم أخرجها .

— تبقى العملية فيها ملموب .. ملموب كبير قوى .

— مصيبة وقعت على يافوخى ، دبرنى يامجدى ، أعمل ايه ؟

— ولا حاجة تعمل ايه ؟ احمد ربنا انها ليست بندقية الحكومة ،

كان بيتك انخرب .

— ماهى ممكن تصل للحكومة وأروح فى داهية .

— لا ، أبدا .. مسيرها تظهر .

استقبلنى النقيب سمير بحفاوة بالغة وقال : تصدق يا كمال اتنى
كنت أتوقع مجيئك الآن !!

— القلوب عند بعضها كما يقولون •

— من ساعة وأنا أريد أن أخرج لكن شيئا خفيا يقيدنى الى
المكتب هكذا ... قل لى ، ماذا تشرب ؟
— أى حاجة •

ضبط جرسا على حافة مكتبه فجاء واحد من الجنود : تمام
يا أفندم •

— هات اثنين شاي بسرعة •

ثم التفت الى وسألنى : وياترى ماذا كنت تفعل هنا فى منيا
القمح • ؟

— لا ، أنا أتيت اليك مباخرة •

— أهلا وسهلا ، انت تشرف فى أى وقت •

— شكرا •

— قل لى ، عامل ايه مع العرييد ؟

— لا شيء تقريبا •

— وسعاد أخبرها ايه ؟

— رأيتهما أخيرا فى وضع مريب •

— سعاد ؟ مع من ؟

— لا ، أنا لا أقصد هذا المعنى إطلاقا •

— فسر كلامك .

— انقطعت الكهرباء ليلة أمس الأول أثناء فرح بنت شسيخ
الخفر وكنت راجعا من القاهرة ، سمعت شيئا يطيش فى الترعسة
واقطع نقيق الضفادع ، ثم لمحت شبحا يحمل شيئا ويعبر الترعسة ،
وقفت خلف جذع شجرة ، مرت سيارة فأضاءت المكان ، رأيت
سعاد ، كانت تحمل حزمة من الحطب ، ناديتها فارتبكت ورجعتنى
ألا أخبر أحدا عنها ثم تركتنى وعبرت الطريق متجهة الى الحقول
فى الجانب الآخر .

— كان يجب ألا تركها هكذا .

— ظننت أنها سرقت هذا الحطب لتطهو طعاما أو تدفئ . . .

— لا بد أنها كانت تخفى شيئا فيه .

— هذا ماورد بخاطرى ليلة البارحة فقد سمعت جابر شيخ الخفر
يبلغ مجدى أن كارثة حدثت له وهى أن البندقية أم روحين سرقت
من الحطب .

— من الحطب ١٩٠

— ليست بندقية الحكومة لكنها بندقية غير مرخصة على
ما فهمت .

— بالتأكيد سعاد هى التى سرقتها .

— والعمل ٢٠

— هذا وضع خطير ويجب أن أتحرك بسرعة .

— ٢٤ —

ارتديت ملابسى وأنا أفكر بشئ من التلق لأنى حتى هذه اللحظة

لم أكن بمستطيع أن أخمن رد الفعل أو التصرف الذى ستقوم به
« منى » ، لم أكن متأكدا من أنها ستفهم ماكتبته لها .
وبينما كنت متأهبا للخروج سألنى مجدى : الى أين .. بعد
ما أغلقوا النادى ؟

— الى أين ؟ .. اسمع يا مجدى ، مارأيك لو أتى مثلا .. مثلا
يعنى ، كتبت ورقة لى ابنة الناظر .
— ها .. ابعدين ؟

— وطلبت منها أن تنتظرنى فى مكان معين لأن عندى كلاما ..
— لا يا صاحبى ، لقد أخطأت .. بنات الكفر لا يفهمن هذه
الطريقة ، انهن غير بنات مصر .
— أهكذا ؟

— طبعا يا صاحبى ، لكن .. هل كتبت لها هذه الورقة فعلا ؟
— نعم .

— أخطأت بلا شك .

— والعمل ؟

— لا تذهب .

— وافرض انها ..

— اسمع ، اسمع .. يظهر ان فيه خناقة .

قالها وجرى الى الباب ، كان الرجال يهرولون وعلى وجوههم
خيوط الشر والغضب المستطير .

سأل مجدى أحدهم : ماذا حدث يا مغاورى ؟

لكنه لم يلتفت اليه ، بعد لحظات علا الصراخ وسمعنا من يقول :

— جابر شيخ الخفر انضرب بالنار ، جابر شيخ الخفر .. ١
جابر ..

جرينا معهم حتى وصلنا الى الجانب الغربي من القرية حيث
الجبانة التي يمر أمامها طريق ترابي وتحيط بها حقول الذرة ، ومع
أن الجبانة لا تبعد كثيرا عن القرية الا أن المكان يوحى بارتكاب
جريمة وسرعان ما تجمع من سكان القرية عدد هائل تنفست
أحاسيسهم بين الشماتة والحزن ، والجميع لا يخفون آراءهم فتتأثر
الكلمات عالية أحيانا ، هامة أحيانا أخرى :

— قتلوه أولاد هنداي ١٠

— والله ماتفوت لهم على خير أبدا ، لازم يؤدبهم .

— جابر مازال حيا ، الرصاصة جاءت في فخذه .

— ليتها جاءت في قلبه .

— يسهل ولا يسهل .

— صحيح ، لك يوم يا ظالم .

— ياترى من الذى ضربه ٢٠

— واحد شعبان من لبن أمه .

لاحظت أن مجموعة من الرجال ينتشرون بين المقابر وأعواد
الذرة ، يحومون بالسلاح بحثا عن الجاني ، لكنهم اختفوا عندما
وصلت سيارة البوليس وبعدها مباشرة سيارة الاسعاف ، كانت
الجثة ملقاة على قارعة الطريق ، يحيط بها ليف من أقارب شيخ
الخفر وأصدقائه يحاولون كتم النزيف ، قحصه وكيل النياية ،
قام الجنود بتفريق الناس وابعادهم ، ثم حاصروا مكان الجريمة ،

مرت لحظات من الترقب ، تحركت سيارة الاسعاف بعد أن وضعوا فيها شيخ البخير وسط عاصفة من الصراخ ، أطلق رجال البوليس عدة رصاصات فى الهواء ، فجاء الرد من داخل المقابر ، طارت فوق رؤوسنا رصاصة طائشة ، تأكدنا من أنهم سيقبضون على الجاني ، ضرب الجنود دفعة أخرى من الطلقات فى الهواء ، لكن الجانب الآخر لم يرد ، تسللوا الى احدى المقابر المطلة على الطريق ولم يمض وقت طويل حتى أذهلتنا المفاجأة عندما خرجت من هذه المقبرة سعاد المجنونة بشعرها المنكوش وثيابها القذرة تحمل البندقية أم روحين .

— ٢٥ —

جلست على شاطئ بحر « مويس » ، تحت شجرة الصفصاف ، أترقب وصولها بين لحظة وأخرى ، مرت بخيالى فكرة أنها قد لا تأت لكن وجهها المشرق تجسد لعينى على صفحة الماء الرقاق ، فسرحت مع شريط الأحلام الذى لا ينته ، تنبعت على صوتها العذب :

— أستاذ كمال .

— أهلا « منى » .

— آسفة ، انى تأخرت عليك .

— لا .. أبدا ، تعرفى يامنى ، أنا مهما حاولت أن أصف لك

سعادتى بهذا اللقاء ، فلن أقدر لأن كل كلمات الدنيا لا تكفى .

— ياه .. انت شاعر حضرتك ١٤٠

— أنا لو فى يوم قلت الشعر ، فالفضل يرجع لك .

- اسمح لى •• أنت تبالغ ••
- أبدا •• صدقنى ، تخيلى بجار تأثه ظهرت له من بعيد فنساره عالية ، عصفور غريب ولقى حبيا يؤنسه •
- ياه •• أنا كل هذا ؟•
- بالنسبة لى فأت أكبر وأجمل وأهم من كل هذا •
- من يسمعك يظن أن البلد ليس فيها بنات •
- من البلد كلها عيناي لم تعشقا الا أنت ، وقلبي لم يخفق الا بحبك وأذناي لم تسمعا الا صوتك •
- متى ستطلبنى من أبى ؟•
- هه ، أطلبك • ؟
- ألن تخطبنى ؟•
- طبعا •• طبعا ، لكن أنت مستعجلة على الخطوبة لماذا ؟•
- لازم علاقتنا تبقى رسمى ، أم أننا سنظل نلتقى هنا ؟•
- أفهم من ذلك أنك لاتثقين ••
- الثقة حاجة بينى وبينك •
- يعنى ايه ؟•
- يعنى لازم نمشى على سليم •
- وهل نحن الآن على غش ؟•
- بالعربى كل صديقاتى تلبسن دبل الخطوبة •
- كلهن ؟• ؟•
- آه كلهن ؟•
- مرت لحظات من الصمت الحزين ، هى ترمى الحصى فى الماء

ينبعث منه صوت عميق وأنا أفكر بشيء من الحيرة : « معها حق .. لكن آقا .. أعمل إيه ؟ مرتبى يكاد يكفى ، هل أمتنع عن مساعدة أخى ؟ .. لا ، لا يمكن ، لست جاحدا .. طيب أعمل إيه ؟ .. هي الآن تتحدث عن الدبلة وساعة الجد يبقى فيه أساور وسلسلة وهم ثقيل .. »

— أستاذ كمال ، سرحت فى إيه ؟

— هه ، اسمى يامننى ، أنا لا أريد أن أفركك بدبلة لأن المشكلة أكبر من دبلة الخطوبة .
— مشكلة إيه ؟

— مشكلة مابعد الخطوبة ، مسئولية الزواج .. الواحد يجب أن يستعد لتحملها أولا ، أنت مثلا لم تكمل تعليمك بعد .
— ابنة خالتى آكلت دراستها الجامعية بعد الزواج .
— لكنه أسلوب خاطئ .

— وأنا ليس عندي استعداد أن أجيء الى هنا بعد ذلك ، لو أن أبى رأى لقتلنى .. عن اذلك . تركتنى وذهبت ، دارت بى الدنيا ، لم أدر كم من الوقت مضى وأنا أحلم بالاعارة ، الثروة ، الزوجة ، البيت ، السيارة ، الأولاد .. تتسع رقعة أحلامى ، فتهتز وتتأرجع على صفحة الماء .

— ٢٦ —

كان جالسا على الكنبه وفى يده مبسم النارجيلة ، نظر الى شزرا ، دخلت قائلا : السلام عليكم .
لكنه لم يرد ، لاحظت أنه يفكر بغضب ، سألته : مالك

يامجدى ١٠

— أين كنت الآن ١٠

— كنت فى المركز وسيطلبونك للشهادة .

— يعنى خلاص ، أبو العريف طالع تجرى على هناك ١٠

— وايه لزوم القلط ١٠

— هو أنا قاعد هنا « طرطور » ١٠

— وانت مالك ١٠

— بقى جزاى انى لمتلك من الشارع وسكتك ..

— نفسى أعرف انت ..

اخترقت مسامعنا صرخة حادة انبعثت من المنزل المقابل ، كان أبو دعبس ممددا على الأرض ، غائبا عن الوعي ، تجمع نفر من الجيران ، قال أحدهم : بصلة : هات بصلة يا أم دعبس . جريت بسرعة فأحضرت زجاجة الكولونيا ، مرت لحظات صعبة ، أفاق الرجل ففتشنا الصعداء ، خرجوا واحدا تلو الآخر بعد أن هناؤا على سلامته ، احتضن طفليه وجعل يقبلهما ويمسح دموعهما بطرف جلبابه ، قال لزوجته : أجر يا أم دعبس أعملى الشاى .

التفت الى : مرجبا يا أستاذ كمال .

— كيف حالك الآن ١٠

— نعمده على كل حال .

كان منظرا مؤثرا للغاية عندما قام الطفل الصغير يقبل والده مرة أخرى ويحتضنه بيديه الصغيرتين ، برق الدمع فى عينيه الذابلتين ، أخرج حافظة نقوده قائلا :

— خذ يدعيس ، اشتر فول سودانى وكل افت وأخوك •
تهلل وجهى الطفلين بسعادة غامرة وخرجا الى الدكان ، لكن
دعيس رجع بسرعة وقال لى :

— الحق يا أستاذ ، فيه عسكرى على بايك ومعه عاشور الخفير •
قابلنى مجدى بنبرة ساخطة : تعال يا أفندى ، عرفنى ، قلت ايه
فى المركز ؟

تجاهلته وذهبت الى العسكرى مستفسرا : خير يا شاويش ؟

— مجدى الطاهر مطلوب فى النيابة •

— رد على ، قلت ايه عنى ؟

— اذهب يا مجدى وانت مطمئن ، لم أذكرك بسوء •

— طيب يا جدع ١٠ لك روقة وصبرك لما أرجع •

أطلق هذه العبارة بنبرة تهديد وهو يمسك ذقنه ومشى ينفخ من
شدّة الغيظ •

— ايه الحكاية يا أستاذ كمال ١٢

قالها أبو دعيس بنوع من الدهشة واستطرد : تعال ، ادخل من
الشارع •

جلسنا فقال بشيء من اللهفة : حصل ايه بينك وبين الذى اسمه
مجدى • ؟

— أبدا ، ذهبت الى المركز فأدليت بمعلوماتى عن مشكلة سعاد
وعند خروجى من المركز رأيتى أم سعد :

— امرأة ملعونة ، لا تبلى فى فيها الفولة ١٠

— فعلا •• هى أبلغت مجدى قثار على وعملها حكاية •

- الذى أكل لحمة نيئة توجهه بطنه • ١
- مسكينة سعاد ، تعذبت كثيرا •
- المهم أنها ظلمت رجلا • • ليست كالتى عندى ، تصور انها
- قرفت منى • ١
- من هى • ١
- أم دعيس • • أصبحت الآن تشتم الأولاد وتمنى لى الموت •
- لا يارجل ، لا تصلق •
- أصدق • ١٢ • أنا سمعتها بنفسى •

— ٢٧ —

- فوجئت عند دخولى من ناصية الشارع بأن كل حاجياتى ملقاة
- أمام الباب ، أحسست بانقباض وتملكتنى الحيرة ، رآنى فنظر فى
- الأرض وجعل يهز ميدالية فى يده بعصبية •
- لماذا يامجلى • ١
- اطلع من سكات وابحث عن مكان آخر •
- أنا عملت لك ايه لكى تطردنى • ١
- قصر الشر واخرج •
- اخرج الى أين • ١ • انتظر حتى أجد غرفة •
- اطلع ياخائن العيش والملح ، أنا ، أنا تبلغ عنى ، أنا أسرق
- سعاد الجمعية ، هيا • • هيا • • أغرب عن وجهى •
- قالها بنبرة مرتعشة زاعقة واتفض واقفا يشيح فى الهواء كثور
- هائج • ذهبت الى فتحي صاحب المنزل ، دقت الباب فخرج وهو

يكمل مضغ لقمة فى فمه ، مد يده قائلا :

— أهلا كمال بيه ، حماك تحبك .. تمال الى الغداء ، تفضل .

— شكرا يا فتحي .

— اعملها مرة ولا تكسبنى .

— فيه حاجة أهم .

— خير جرى ايه ؟

— مجدى طردنى .

— طردك . ! طردك كيف ؟ ! كان بيته ؟ اخص عليه وعلى أصله .

— رجعت الآن من المدرسة فوجدته قد رمى حاجياتى فى

الشارع .

— أما أنه عديم الدم صحيح ! . تمال مى ..

كان الباب مغلقا ، دق فتحتى عدة مرات وفادى : ياسى مجدى ،

يا مجدى ، مجدى .

لكن أحدا لم يرد ، ألقت الى وقال بغيظ : « هرب الجبان » .

— وبعدين ، أعمل ايه . ؟

— سنتنظر حتى يرجع .

— الله ! . انت مائى ولا ايه يا أستاذ كمال ! .

قالها أبو دعبس الذى كان عائدا من حقله ، يرتدى قميصا أبيض

مزهرا ، قوقه صديرى أخضر .

— المفترى طرده .

وضع الناس عن كتفه وقال برنة حزن حقيقى :

— طردك . ! . آه النذل ، هو انت « وش بهذلة » ! ! المجرم .

تملكنى شعور بالمهانة والاحباط ، أحسست بصداع حصاد ،
تمنيت لو أتنى لم أقض عمرى فى الدراسة ، لو كنت فلاحا مثل
فتحى أنعم براحة البال والحياة الهنيئة المستقرة ، اتشلتنى أبودعبس
من موجة الاحباط حين قال وهو يشير الى سطح بيته :
— أستاذ كمال ، سأخلى لك المقعد لحد مارينا يفرجها •

كان « المقعد » عبارة عن حجرة صغيرة فوق السطح مبنية بالطوب
للأخضر ، لها شباك ضيق والباب قصير بلا « ترانس » •
قاموا بإخلائها من الأجولة والصفائح والجرار المختلفة الأحجام
ونظفتها أم دعبس •

ثم رشت أرضيتها بالماء •
نقلنا حاجياتى فيها ، أحسست بارتياح وقلت لنفسى :
— هى على كل حال أفضل من معاشره ذلك الوغد •
فكرت فى أن أركب للباب قفلا ، لكنى خشيت أنه يفسروا ذلك
بأننى لا أؤمنهم على حاجياتى •

— ٢٨ —

دفعت الباب ودخلت ، فوجدت الغرفة نظيفة ومرتبـة بشكل
مريح ، بدأت أغير ملابسى ، لاحظت أن الملابس التى تركتها معلقة
على الشئاعة غير موجودة ، خرجت الى مستط السلم وقاديت :

— دعبس •• يادعبس •

— ليس هنا يا أستاذ كمال ، أى خذمة ؟•

— ملابسى ••

— عند المكوجى وستصل حالا •

— طيب ، شكرا .

شمست رائحة كريهة ، تهب في أركان الغرفة من حين لآخر ،
ظننت أنها تأتي من الخارج ، فأغلقت الباب والشباك ، لسكنها
استمرت ، لجأت الى الكولونيا فلم تجد .

سمعت دقات خفيفة على الباب ، فقلت : أدخل .
أخذت منها الملابس قائلا : أنا شاكر جدا .. بس أرجو أن
تكون هذه آخر مرة لأنى أحب أن أغسل ..

— لماذا تفرق بيننا هكذا ؟ أأنت واحدنا منا الآن ؟

— لكن الواحد لازم يكون عنده نظر .

— الحمد لله أنك قلتها بلسانك .

— قصدى يا ست أم دعيس أن وراءك أعمالا كثيرة في البيت
والغيط .

— أنت الآن واحد من البيت وعلى العنوم أبو دعيس لن يبار
منك .

شعرت أن عبارتها الأخيرة تحمل أكثر من معنى ، لم أعرف كيف
أرد عليها ، حاولت أن أخرج النقود من جيبى ، لكنها أمسكت
يذى بسرعة : « ماذا ستفعل ؟ الكوجى يحاسب الموظفين بالشهر »
— بالشهر ؟ طيب وئمن اللبن الذى أحضره دعيس الصبح ؟

— اللبن من عندنا .

— لكن لازم أدفع ثمنه .

— حاسب الرجل بقى ، هو الذى قال ..

— الحقيقة ، جبايلكم زادت قوى .

- لا تقل هذا ، يعنى عملنا ايه ؟٠
- على فكرة .. هنا رائحة غريبة .
- أيوه صحيح ، جاءت من أين ؟٠
- قالتها وبدأت تفتش فى أركان الغرفة ، ثم نزلت تحت السرير .
- قمت بفتح الشباك ، لكى تزيد نسبة الضوء ، لاحظت أنها تتعمد
- تعرية جزء كبير من ساقها فسألتها :
- هل وجدت شيئا ؟٠
- فأر ميت .

— ٢٩ —

- كتب جالسا فى حجرة المدرسين ، منهمكا فى تصحيح الكراسات
- جاء يصفر بفمه ويعنى :
- توبة ان كنت أحبك تانى ، توبة .. بس قابلنى مرة .. صباح
- الخير يا كمال .
- أهلا صلاح .
- خلع نظارته السمكة وبدأ يسمح زجاجها قائلا : النادى وقفلوه،
- وأنت أيضا تحررنا من أنسك ؟٠
- أنا تحت النظر يا أبا الصلح .
- لا .. طيب كنت أسأل ، أم أفك نسيت العنوان ؟٠
- مشاغل والله يا صلاح .
- صحيح ، أنت عامل ايه فى السكن الجديد ؟٠
- والله الناس طلعوا ذوق معى ، لكنى مشغول بالتحضير لرسالة

الماجستير •

- وستكون عن ماذا ؟• هتلر •
- يعنى ، تاريخ ألمانيا النازية •
- أتمنى لك التوفيق •
- شكرا يا صلاح •
- اليوم ، نحن عندنا فرح : ابن عمى سيتزوج •• ايه رأيك تانى
- معنى وفرصة لتشاهد أفراح الريف •
- عقبال فرح « هند » •
- المهم أنت ، متى ستعملها ؟•
- أتزوج يعنى ؟• ربنا يسهل • قل لى يا صلاح : ألا تعرف لى
- جمعية أشترك فيها ؟
- تريدها بكم جنيها ؟•
- عشرة مثلا •
- فيه جمعية على مدى خمسة عشر شهرا •
- عز الطلب •• ممكن أقبضها فى الأول ؟•
- قل الثانى ، الثالث •
- ماشى ، ماشى •
- اذن فأنت تستعد للزواج •
- تقريبا •
- ومن هى سعيدة الحظ ؟•
- لا ، خليها مفاجأة •
- كانت واجهة المنزل مغطاة بعدد هائل من اللبات : حمراء ،

خضراء ، صفراء ..

أصوات الغناء تملو وتختلط أحيانا بدقات الطلبة والتصفيق
الجماعي ، دخلنا بصعوبة لكثرة المدعويين ، وحينئذ كانت تتوسطهم
طفلة ترقص برشاقة . ردد صلاح : « عقبال عندكم جميعا » .

سرنا الى « المنذرة » لكنه توقف ليصافح سيدة فى خريف العمر :
— ألف مبروك يا امرأة عمى وعقبال حجبك .

أصابنى الملل وأحسست بالضيق من زحام المنذرة ، الدخان
الكثيف ، الثرثرة الفارغة ، كثرة السلامة ، سمعت صوتا ناعما :
عقبال دعيس يا أم دعيس .

— عقبالك أنت يا نور عيني .

— أغانيك الحلوة يا أم دعيس ..

— بس قولوا ورائي .. أمة نعيمة .. بعين ، خلى عليـوة
يكلمنى .. أمة نعيمة ..

ملت نحو صلاح وقلت : ما رأيك لو نقعد مع الشبان ..

— آه وماله ، تعال ..

جفلت عندما رأيته وتملكها الارتباك ، انتفضت واقفة ، خطفت
شالا أحمر ، لفته على وسطها ثم أنزلته أسفل سرتها وربطته ،
رفعت ذراعيها وبدأت ترقص كما لو كانت محترفة ، والجميع
يصفقون بحرارة ويغنون : يا لع .. دلح وخل الحلو يتطلع ، يادلح
دلح ..

كانت تتمايل وتتلوى بسرعة وتهز بطنها وصدرها مع إيقاع
التصفيق بمهارة فائقة وفى وجهها بريق النشوى لكلمات الإعجاب

المتنائرة :

- يا عيني على الفن •
- آه يا وعدى ، ارحمنى يارب •
- قسم يا ولد قسم •
- يا حنين على الوسط •

— ٣٠ —

اخترقت أذنى صرخة مكتومة ، ثم آفات بكاء وارتفع صوت أبى
دعيس كالزئير ، ظننت أحدا يتشاجر معه فنزلت بسرعة ، رأيته
يركل زوجته بقسوة ، ملقيا عليها جام غضبه فى كلمات :
— يا مفضوحة ، يا خبيسة ، يا عديمة الأصل ، أنت ١٠ .. أنت
عندك كرامة أنت ١٠
أخذه وصعدنا الى غرفتى ، جلس وهو يتنهد وينظر للأشياء ،
فقلت له :

- صل على النبى وهدىء نفسك • •
- اللهم صل عليه • • أنا غلبت خلاص • • غلبت منها • •
- لا يارجل ، كل البيوت فيها مشاكل وخلافات •
- لا يا أستاذ كمال • • ليس الى هذه الدرجة ، انها تغيرت
خالص • • هذه الأيام بالذات •
- ان قلت شرق تقول غرب •
- روق انت بس ولا تكبر الحكاية هكذا •
- أنا قلت لها : لا تدخلى بيت الذى اسمه مجدى • كسرت

كلامى وراحت عنده •

آخرة المئمة ترقص فى فرح ١٩

— أنا معك انها أخطأت ، لكنّ الضرب يخليها تفاند •

— هذا الصنف يأخذ على دماغه ، يشى مضبوط •

— أبدا ، عمر الضرب ماكان علاجا •

— هى ، أصلها قرفت منى خلاص .. تتمنى لى الموت ، لكنى

فاهمها ومصحصح لها قوى ••

— لا ، أنا لست معك فى هذا الكلام •

— أنا لازم أطمئن على مستقبل الأولاد •• لازم أكتب الدار

والأرض لدعيس وأخيه •

— يبقى حرام عليك •

— لا يا أستاذ كمال ، أنا لو مت اليوم أو غدا مستزوج والأولاد

يتشردون •

— أليسوا أولادها أيضا ١٠

— لكنها اذا تزوجت ••

— ولماذا تفترض أنها مستزوج • ؟

— وايه يضمن • ؟

— ياسيدى ربنا يخليك ويطيّل عمرك •

— سأكتب الدار والأرض للأولاد لكنى أموت وأنا مستريح •

— ٣١ —

وضمت صينية الشاى وقالت وهى ترسم على شفيتها ابتسامة

رفيقة : وشك .. ولا وش القمر •

— الله يكرمك •

— يعنى ، لو لم تكن « منى » . تحتاج اليك فى دروس الفرنسية

لا نراك • ؟

— الحقيقة ، كانت عندى مشاغل كثيرة •

— طيب يا أستاذ كمال ، خليك على كيفك •

قالتها وخرجت ، فأحسست بارتياح وغمرتني موجة من

التفاؤل بخصوص الطلب الذى عقدت العزم عليه •

مد يده نحو الصينية قائلا : تفضل الشاى يا أستاذ كمال •

— شكرا •

أخذت رشفة من الكوب وأنا أفكر بعق ثم قلت : أريد التحدث

مع حضرتك فى موضوع شخصى •

— شخصى ؟ ما هو ؟

— أريد أن أكمل نصف دينى ••

— شئ جميل •

— ووقع اختيارى على الآسة « منى » •

— منى ؟

قالها بانفعال وهو يحلق فى باستنكار ، زادت دقات قلبى ،

وجف حلقى قبلت ريقى وأجبتة :

— نعم ، هل هناك مانع ؟

— طبعاً ، انها مازالت فى الثانوية العامة •

— نعمن الخطوبة الآن والزواج يتم بعد ••

- لا، لا وهل هذا كلام ؟ ثم أن منى لازم تعيش فى مستواها .
- يعنى ايه ؟
- انت عامل ايه فى سكنك الجديد ؟
- على العموم ، كلها سنة أو سنتين وانتقل الى القاهرة .
- لا القاهرة أرخص من هنا ولا السكن فيها متوفر .
- ساعتها أكون وجدت شقة هنا أو فى منيا القمح .
- لعلمك الشخصى ، ابن خالتها مهندس زراعى ورقضته .
- طيب ، ممكن حضرتك تسألها ؟
- هين اهانة يا أستاذ ! أسألها ؟ حلوة أسألها .
- قالها بسخرية وغضب مفتعل ، فقلت مرددا : آنا آسف ، آسف جدا .
- خرجت والأسى ينشب أظافره المديية فى رأسى المثقل بالهموم .

— ٣٢ —

على غير عادتها دخلت دون أى تنبيه ، أغمضت عيني وتظاهرت بالنوم ، لكننى تابعتها من بين رموشى ، نظرت فاحيتى ثم وضعت كوب اللبن على المنضدة وغطته بورقة من صحيفة قديمة . استدارت ومرت لحظة وهى تفرس فافريها فى صدرى الذى كان عاريا اقتربت وهى تفرك أصابعها فى شئ من الارتباك وجلست على حافة السرير ، أحسست باختناق كان حجرا ثقيلا يجثم على قلبى ، ويبدو أنها كانت تترك أتنى غير نائم لأن صدرى يعلو وينخفض بشكل ملحوظ .

مدت أصابعها البضة تداعب شعر صدري وقالت بصوت حالم :
— أستاذ كمال • يا أستاذ كمال •

— من ؟ ست أم دعيس •

— كفاياك نوم بقى •• أنت تنام كثيرا •

— من التعب •

قلتها وأنا أبادلها نفس النظرة المتهبة ، مستسلما لأصابعها الدافئة
قالت بشيء من التردد :

— أنت •• أنت ••

— أنا ايه ؟•

— شعر صدرك ثقيل •

— صحيح • ؟

قلتها وأنا أعصر يدها بلا وعى ، فمالت نحوى قائلة بنبرة هيام :

— صحيح •

وحينئذ التصقت الشفاه ثم تمزقت الصورة الغالية التي كنت
أستمد منها احترامى لنفسى •

— ٣٣ —

ضاقت الدنيا فى عيني ، اهتز فى رأسى بعنف سلك شائك
اسمه : عذاب الضمير •

مشيت هائما حائرا بين الحقول ، تطاردنى أفكار سوداء ، توغلت
بين المزارع كأنى أهرب من شيء مخيف أو أبحث عن الإنسان الذى
ضاع واختفى من أعماقى هذا الصباح •

استوقفتنى طفل فى السابعة أو الثامنة ، ملامح ليمت غريسية

ولكننى لم أذكر متى رأيته من قبل ذلك ؟
كانت صور الأشياء ترتعش فى ذهنى ، قال وهو يفرق يسيديه

أعواد الخوص : « تعال من هنا يا أستاذ » .

رأيت الأستاذ صلاح جالسا على كوم هائل من « الردم » تحت
شجرة توت ، مشيت خلف الصبي على حافة قناة ضحلة حتى وصلنا
الى الشجرة ، فنزل واستقبلنى قائلا :

— أهلا يا كيمو .. من الذى وصف لك الفيض ؟

— لا أحد .

— لو أننا لم نرك كنت ستأخذ فى « وشك » وتسير على طول .

— فعلا .

— اطلع يا ايها ، اجمع لنا طبق توت .. مرحبا يا كمال ، لماذا

لم تأت الى المدرسة اليوم ؟

— تعبنا والله يا صلاح .

— تعبنا من ايه ؟ انت مثل الحصان .

— أشعر بضيق وملل .. الحياة أصبحت فارغة باهتة قاحلة ..

— بس ، تبقى حالة حب يابطل .

— هى حالة غلب وانت الصادق .

— غلب ؟ آه ، قصدك غلب من حياة الزوية ، عال قوى ،

يبقى فيه تقدم نحو الزواج .

— قل لى يا صلاح ، لو كنت مكاني .. تفكر فى الزواج من ابنة

الناظر ؟

— ابنة الناظر .. لا طبعا .

— لماذا ؟

— لأنه رجل انتهازي وامراته معلقة من عجيزتها مثل الباذنجانة •
— لكنى لن أتزوجه هو ولا ••

— سيحزرونك ، امرأتها جاهلة وترى ان ابنتها تعلمت وحصلت
على الشيء الذى افقدته هى وبالتالي فان عملية الزواج لابد أن
تكون فحمة جداً تليق بمقام ابنتها الفرخة بكشك •

— ها • ها •• الله يجازيك ياصلاح •

— أنا من البلد وأعرفهم عن قرب •• لكن أنت ، يستحسن أنك
لا تأخذ كلامى كشيء مسلم به ، وجرب حظك •

— أنا فعلا جربت •

— والنتيجة ؟

— رفضنى •

— عرفت ؟ وطبعا انت لم تكن تتوقع أن يرفضك •

— على الأقل لم أتوقع أن يرد على بسخرية واحتقار كما
حدث •

— لا ، انه رجل عديم الذوق •• يأكلها ، يعنى كانت السفيرة
عزيرة •• ولا يعنى الذى خلقها لم يخلق غيرها •

— موقف غريب من رجل ، المفروض أنه تربوى •

— نصيحة منى ، لا تتزوج من الأرياف •

— هل تظن الزواج سهلا فى المدن ؟

— ليست النظرية ، انما هناك ستجد من يفهمونك ويتعاونون

معك ، هل تصدق أنني غارق فى الديون حتى الآن ؟

- ٢٠ بسبب تقاليد الزواج ٢٠
- أليست مهزلة ٢٠ الا انسان يتزوج بحثا عن السعادة فيجسد نفسه واقعا في سلسلة من المشاكل ، تحيل حياته الى جحيم .
- الآن عرفت لماذا يدلل الآباء أبناءهم حتى تقصد أخلاقهم .
- الواحد منا يتعذب حتى يخلف ابنا فكيف يقسو عليه ٢٠
- وأيضا لأن الآباء مشغولون بالعمل ليلا ونهارا لتسديد الديون .
- فعلا ، كلامك سليم .

— ٣٤ —

- تبنت على ضحكة رنانة فيها ملامح الشقاوة ، وخفة الدم ، سمعت أم دعبن تقول :
- أسكتي يا نادية أحسن الأستاذ نائم .
- هو أستاذ بصحيح ٢٠
- أيوه أستاذ في المدرسة الاعدادي .
- كبير في السن ٢٠
- آه يا أختي منك .. قبل المغرب سيخرج وترينه .
- ارتسمت في خيالي صورة نادية كفتاة جريئة وجيلة ، وارتبت الشباك بحذر واختلست نظرة فرأيتها من ظهرها ، كانت ممشوقة القوام يتدلى شعرها الكستنائي بهيئة ذيل الحصان ، يكاد الدم يقفز من كعبيها المتوردين ، ومع أنها ترتدى الثوب الفلاحي الأسود الا أنها ليست ريفية ، خطرت بيالى فكرة أن أملا الدورق من

الزير لكى أراها عن قرب ، سرحت شعرى وفردت ياقة البيجامة
ثم خرجت ، التفتت فقلت : مساء الخير .

— مساء النور عليك ، والنبي نحن قلقنا نومك !

— لا ، أبداً .. حتى صوت الأنسة أجمل من صوت البلبل .

— شكراً .

قالتها مغلفة بابتسامة رائحة فتشجعت وقلت : أتكلم بجد .

واستدرت الى أم دعيس قائلاً : الأنسة .. تقرب لكم أيه ؟

— أبو دعيس .. خالها .

— آه ، أهلاً وسهلاً ، من مصر يا أنسة نادية ؟

— لا ، من هنا .

— ياه .. ويا توى فى سنة أيه ؟

— تقول انت فى سنة أيه ؟

— أقول فى الجامعة مثلاً .

— لا .

— اذن فأنت موظفة .

— لا .

وحينئذ سمعنا صوته ينادى من الشارع : افتح يا دعيس .

— خالك جاء يا نادية .

قالتها أم دعيس وهضت بسرعة ، فنزلت وراءها ، ولا أصرف
كم من الوقت مضى وأنا واقف أسترجع كلمة « لا » التى خرجت
من بين شفثيها تحمل شحنة عاطفية هائلة ، فترن فى أذنى بنغمة
رقيقة تدغدغ كل مشاعرى . غيرت ملابسى ونزلت ، كأن جالسا

على الأريكة يرمم المنزل الخشبي باصبعي الإبهام والسبابة ، رآنى
فوضع المنزل ووقف مرددا : أهلا كمال أفندى ، تفضل ... كيف
حالك ؟

— الحمد لله .

— ودعيس عامل ايه فى المذاكرة ؟

— دعيس الآن ممتاز ، يستطيع قراءة الجريمة .

— الجريمة ! يا صلاة النبى يا أولاد .

— وفى العام المقبل باذن الله سأقدم له فى امتحان الابتدائية
فيقفز من خامسة الى سادسة .

— جزاك الله كل خير يا كمال أفندى ، على العموم انت
تعتبره ابنك ومسئول منك .

— أن شاء الله سيكون له مستقبل عظيم .

— هذا بفضل ربنا ورعايتك له .

— ربنا يتولانا جميعا برعايته .

مرت لحظة وأنا أفكر فى صمت ثم قلت : « عم أبى دعيس ،
الآنسة التى كانت عندكم فى سنة ايه ؟ »

— نادية . ؟ انها ليست فى المدرسة .

قالها وهو يتسم فعقبت : ظننتها طالبة .

— لا ، هى تركت المدرسة بعد الابتدائية .. أصلها مدللة .

— طبعا هى من العائلة ؟

— ابنة أختى لزم . وأنا الذى ربيتها هى وأختها وأخيها الذى
يعمل الآن فى السعودية .

- يتيمة مثلى ١٠
- أبوها ربنا « أفكره » وكانت لاتزال ترضع •
- طبما هي ليست مخطوبة ١٠
- أمشى لك سكتها ١٠
- أشعر أها تناسبني •
- أنت ابن حلال وتمسأهل كل خير ، قم بنا نكلم أختي •
- كانت سيدة محجة تميل الى السمنة ، استقبلتنا بحفاوة بالغة ،
قدمنى لها ثم فاتحها فى الموضوع فقالت :
- من ناحيتى ، فأنا موافقة •• لكن المهم هي ، عن اذنكم
اسألها •
- غابت عنا بضع دقائق ثم رجعت تبسّم وقالت : مبروك يا أستاذ
كمال • لكن قبل مانعلن الخطوبة واجب تأخذ رأي أخيها •

— ٣٥ —

- طلب لى فنجانا من القهوة وابتسم قائلا : « عندى لك مفاجأة
سارة ، حزر ، فزر ، •• حتى انتهى من كتابة هذه المذكرة » •
- بدأت أرتشف القهوة ، بينما الأفكار تقفز الى رأسى وأنا
أستعرضها كما لو كانت صفا من الجوارى الحصان يتمايلن ويرقصن
على أعذب الألحان ، مرت لحظات وهو منهمك فى الكتابة ثم وقف ،
وهو يرتب الأوراق داخل ملف ، التفت الى وقال :
- انتظر ، سأقدم هذه المذكرة الى المأمور وأرجع لك حالا •
- قلت فى نفسى : « بما أنها مفاجأة سارة فلا داعى لأن أجهد

تفكيرى » • أخذت مجلة كانت على المكتب وتصفحتها حتى رجم

النقيب سمير وبادرنى : هل عرفت المفاجأة ؟

— ايه ، سعاد ستأخذ براءة •

— قلت لك مفاجأة سارة لك •

— قلما وخلصنى •

— يعنى غلب حمارك ؟ اسمع ياسيدى ، أنا وعدتك أن أبحث

لك عن كتب تساعدك فى رسالة الماجستير •

— نعم هذا حصل •

— وقد وجدت لك مجموعة قيمة •

— المهم أنها تكون فى نفس الموضوع •

— أيوه فى ضميم الرسالة •

قالها وفتح أحد الأدراج فى مكتبه وأخرج منه أربعة كتب ،

قدمها لى واحدا تلو الآخر : « خذ ، هذا كتاب : أسرار الحركة

النازية وهذا : تاريخ ألمانيا النازية وهذا : هتلر وايفا براون وهذا :

النازية تتحدى العالم ، ثم هذا : كفاحى بقلم هتلر نفسه • »

— عندى كتاب كفاحى •

— يستحسن أن تطلع على هذه النسخة لأنها ترجمة حرفية

ومضافا اليها ملحقا به معلومات هامة عن حياة هتلر •

— هى فعلا مفاجأة سارة وأشكرك على هذا الاهتمام •

— وإذا وقعت فى يدي كتب أخرى تتصل بهذا الموضوع

سأحضرها لك •

— شكرا •

- لا ، العفو ، شد حيلك بقى وعقبال الدكتوراه •
- باذن الله •
- أعتقد أنك من حسن حظك أنهم عينوك هنا •
- لماذا ؟
- لأنك لو كنت تعمل فى القاهرة كان وقتك سيضيع بين الأصدقاء •
- عموما كل مكان له ميزة وله عيب •
- هنا ممكن تنتهى من رسالة الماجستير فى وقت أقل •
- ربنا يسهل •
- انما ايه السبب انك اخترت هتلر تعمل عنه رسالة الماجستير ؟
- لا ، الرسالة ستكون عن ألمانيا تحت قيادة هتلر وكيف أنها تحولت من دولة منهاره الى دولة عظمى تحت قيادته ، هذه هى النتيجة التى تمنى •
- لازلت أرى أن الموضوع غريب عنا •
- نحن دولة نامية ، يعنى فى مرحلة التكوين وألمانيا تحت قيادة هتلر كانت أيضا فى مرحلة بناء أو اعادة تكوين اذن مهم لنا جدا أن نعرف كيف أنجزوا نهضتهم •
- لذلك وصفوا هتلر بأنه ساحر مجنون •
- على أى حال هو كان انسانا عظيما ولذلك اعتبروه من المائة الخالدين رغم دمويته •
- على ذكر الدم ، جابر طلع من المستشفى •
- وأين ذهب ؟

- فى السجن ، أتحب أن تراه ؟
- لا ، يغور .. انما سعاد موقفها ايه ؟
- شروع فى قتل .
- لكن جابر هو قاتل زوجها .
- وليكن ، القانون هو القانون وكلاهما سيأخذ جزاءه .
- يقولون الرحمة فوق العدل .
- اذا كان القاضى رحيمًا ستبقى ثلاث سنوات فى السجن .
- وجابر ؟
- اذا أفلت من جبل المشنقة فأمامه المؤبد .

- ٣٦ -

كانت زغرودة طويلة ربانة بدأت بها أم دعبس وهى توزع أكواب الشرابات ثم تبعها سيل من الزغاريد وكلمات التهئة والأمنيات الحلوة . وبطبيعة الحال لم تكن سعادتى أقل منهم ، كل ما فى الأمر أننى كنت أفكر بطريقة مختلفة .

أحضروا الخطاب الذى وصلهم من السعودية ، كان خطابا قصيرا ينم عن تفكير ناضج ، لكنى بعد مآقراته ، اتابتنى أحاسيس متضاربة وشردت قليلا : « دخلت فى الجد يا أبا كمال ! » . ورطت نفسك يا جدد ! . تسرعت وهم أسرع منك ! . فلوسك قليلة ويلزمك وقت ..

تنبعت على صوت أبى دعبس يسألنى : « خير يا كمال أفندى ، الخطاب فيه حاجة ؟ »

— لا ، أبدا • الخطاب مهذب جدا •
 — ألف مبروك وربنا يتم بخير •
 — عقبال دعبس وأخيه •
 مرت لحظات صعبة وأنا أفكر بقلق والوم نفسي : « كان يجب أن تستعد أولا » •

اتتهزت فرصة خروجهن لاستقبال بنات الجيران وقلت له :
 — وبعدين يا عم أبى دعبس ؟ انه يقول فى الخطاب : سأصل
 بعد شهر وتتم اجراءات الفرح خلال أجازتى ، قايه العمل وأنا من
 الناحية المادية ••

علت شفتيه ابتسامة تفيض حبا وحنانا ثم قال وهو يربت على
 كنفى :
 — اطمئن يا أستاذ كمال ، أنا سداد برقبتي فى كل ماتحتاجه ،
 لادية ابنتى وأنت ابنى •

— ٣٧ —

رايتهم يتزاحسون على جريدة بين يدى صلاح الذى اهمك فى
 تصفحها بطريقة توحى أن هناك شيئا هاما • قفز الى رأسى احتمال
 أن يكون هذا الشيء هو كشف الاعارة ، فتحت جريدتى بسرعة ،
 قلبت صفحاتها فلم أجد أية كشف •

ذهبت اليهم فسمعت محسن يقول بنبوة تهكية : « أنت متأكد
 يا عم محمود انك كنت مستيقظا • ١٩ »

— والله سامعها من الراديو يا محسن بيه ، كنت أتناول فطوري

ولقيت المذيع يقول :
فيه ناس خضر وقموا فى أمريكا وقال أنهم من النجوم البعيدة
قوى •

— حاجة غريبة ١٠

.. هذا الكلام لو صحيح يبقى العالم كله فى خطر •

— تعال يا كمال ، جريدة ايه التى معك ؟

— الأخبار ولم أقرأها بعد •

— طيب عن اذنك لحظة •

خطفها وبدأ يتصفحها ، ابتسم وهو يدقق النظر فى الصفحة الثانية
ثم قال بنبرة مبهادة :

— صح ، صح .. هذا هو الخبر : فوينكس — وكالات الأنباء:

عشرت السلطات الأمريكية — فى أعقاب سقوط جسيمن غريستين

طائرين — على جتين لجسدين من خارج كوكب الأرض ، لهما

جلد فضى ويبلغ طول كل منهما ١٢٠ سنتيمترا ويرتديان رداء معدنيا

يبدو أنه التصق بجسديهما من شدة الحرارة ، أكدت هذا النبأ

المراقبة الأرضية للطابق الطائرة ومقرها مدينة فوينكس بولاية

أريزونا الأمريكية •

— أريزونا ١ • والله عال .. عال خالص ، لهم حق التلامذة

لما يزوغوا ، تفضل يا أفندى أنت وهو على حصتك •

— تعال يا حضرة الناظر ، اقرأ اسمك فى كشوف الاعارة •

— كشوف الاعارة ؟ والله كان يبقى لك الحلوة يا محسن •

— خذ .. اقرأ •

- أين الكشوف ؟
- بس ، اقرأ هذا الخبر .
- ايه ؟ جتتين من خارج كوكب الأرض ؟ ياساتر يارب ..
- احفظنا يا حفيظ .
- لكى لا تقولوا اعارة ولا أجازة !
- صدقت يا صلاح . معك حق ، خرينا هنا .
- آه ، هذه البلد أحسن من غيرها .
- على الأقل الواحد يموت بين أهله .
- وفجأة دق جرس المدرسة فبوغت الناظر وقال معاتبا : يا أولاد
- الـ .. ايه ! . الحصة خلصت فى الكلام ؟
- يا أولاد خلوا عندكم ضمير ، الواحد يكون فى نصف ثيابه عندما
- ياتى المفتش .

— ٣٨ —

وجدته مهموما غابس الوجه ، يكتب بضعة أسطر ويمزق الورقة ثم يكتب فى غيرها ويمزقها .. فلننت أنها هموم العنل . مرت لحظات وهو يكرر هذه العملية ويبدو أنه تنبه فالتفت الى وحاول أن يتسم :

— أهلا يا كمال ، كيف حالك ؟

— الحمد لله .

— لماذا لم تشرب الشاي ؟

— ساخن جدا .

- زمانه برد ، اشرب •
- أرجو ألا تكون مشغولا يوم الخميس القادم •
- لماذا ؟
- لكى تشرفنى بحضور حفل زفافى •
- صحيح • ؟ ألف مبروك •
- الله يبارك فيك •
- انما قل لى ، هى موظفة ؟
- من ؟
- عزوستك ؟
- لا ، هى ست بيت •
- أحسن حاجة ، تعرف انتى واقع فى مشكلة حاليا بسبب
وظيفة زوجتى •
- كيف ؟
- صدرت حركة التنقلات ووجدت نفسى منقولا الى أسيوط •
- ياه .. متى ؟
- سأنفذ النقل بعد شهر ، المهم أننى ذهبت الى مديرية التعليم
وطلبت نقل زوجتى لكى يجتمع شمل الأسرة ففوجئت بالروتين
والبيروقراطية •
- لا بد أنهم قالوا : انتظر الى العام القادم •
- أنا خرجت عن شعورى وكنت سأضرب الموظف •
- العيب فى اللوائح •
- ملمونة اللوائح ، المفروض أنها موضوعة لحل المشاكل أم

لتعقيدها ؟

• فى هذه اللحظة وقع بصرى على لوجة جميلة معلقة على الحائط خلف مكتبه فقرأتها :

— وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم . . .
— هذا صحيح ، لكن الأولاد ، صعب أبى أغيب عنهم مسدة طويلة .

• حاول مع المسئولين مرة ثانية .
— طبعا سأحاول ، لكن لو فشلت سأجعلها تقدم استقالتها .

— ٣٩ —

عندما دقت الباب سمعته يقول : افتحى لزوجك يا نادية .
كان يرتدى الجلباب الكثيف القضااض والطاقيّة الزهر وغبار السفر يعلو وجهه . دخلت قائلاً : السلام عليكم .

— سلام ورحمة الله وبركاته . . حمد الله على السلامة .
— الله يسلمك ياعم أبى دعبس . . كيف خالك يا ماما ؟
هكذا كنت أنادى حماتى ، فردت بنبرة سعادة : الله يسلمك يا بنى ، الحمد لله .

— مالك يا نادية واقفة هكذا ؟ . . الغداء بسرعة .

— عندنا فسيخ تأكل معنا أم ؟ . .

— فسيخ . ١٤ من أين ؟

— خالى اشتراه من منيا القمح .

• وبعدين ياخال ، أنت جمالك زادت هوى .

— لا بعدين ولا قبلين .. خذ .

قالها وأخرج ورقة مطوية من جيب الصديري واستطرد : أنا كتبت
الفيط والدار للأولاد .

— ألا تشعر أنك ظلمتها ؟

— من هي ؟

— أم دعبس .

— اسكت يا كمال ، أنت لا تعرفها .

كانت حماي تتكلم بانفعال بينما أطرق أبو دعبس يفكر في
صمت ثم تنهد بعمق وخرج صوته المتهدج في نبرات بطيئة .

— يا أستاذ كمال ، أنا خائف على الأولاد من البهدة .. فيه
حلم مزعج يطاردني .

— حلم .

— وما أراه في الحقيقة يفسر الحلم .

— طيب ايه مزعج في الحلم ، احك لي .

— فيه الذي اسمه مجدى يمسك كرابجا ويضرب دعبس وزعبلة
بقسوة و ..

— ضربه في قلبه البعيد .

قالتها حماي بغضب وأكمل هو بنوع من الحزن :

— وهما يكيان ويصرخان والدم يسيل على جسيهما من أثر
الكراباج .

— هذا لأنك أصلا تكره مجدى ، تبقى هي ذنبها ايه ؟

— ستكون هي السبب في دخوله على الأولاد .

— ومن أدراك ؟

— أنا عارف ولولا انى مستحرمها كنت طلقته .

— لو كل واحد يحلم يفعل مثلك كانت الدنيا خربت من زمان .

— غدا ستثبت لك الأيام أننى على حق .

— هاهى « ماما » وقد ترملت فى سن مبكرة جدا ، لماذا لم

تتزوج ؟

— واللهبقى أصابعك ليست مثل بعضها .

— ياكمال ، أسمع كلامى فانت لاتعرفها .

هذه المرة كانت نبرة حماتى هادئة كأنها تريد أن تختتم هذه

المناقشة .

قرأت الورقة ، فكرت قليلا ثم قلت له : فيه نقطة مهمة غابت

عندك .

— ماهى ؟

— انها دون سن البلوغ وبالتالى ستكون أمهما وصية عليهما

وحيث أن يكون بيديها ..

— نعمل أختى وصية .

— لا يجوز طالما أن أمهما ..

— أنك تريد أن تعقدها وخلص .

قالها بغضب وانتفض واقفا متقمع الوجه .

— اجلس يا عم أبى دعيس .

— « أقعد ياسليمان — الكلام أخذ وعطاء » .

هز رأسه فى حيرة وجلس محمقا فى باستغراب : ماذا تريد أن

تقول ؟

أولا نفسى أعرف ، هل تثق فى أم لا ؟
— أنت لازم تعرف انك واحد مننا وليس هذا فقط ، انما أنت
مسئول عن مستقبل دعيس وزعبلة • وذنبهما فى رقبتيك ان
قصرت •

— أنا فاهم هذا الكلام جيدا • واحساسى بالمسئولية يجعلنى أقول
لك ان هذه الورقة لا تشفع ولا تنفع •

— بمنى ايه ؟

— لابد من التسجيل فى الشهر العقارى •

— ٤٠ —

بدأت تلفه بين أصابعها ، تدور بناظريها فى جوانبه تسكب فيه
شماعا وهميا من خيالاتها المشوقة ، ونحن ننتظر كلامها بلهفة
كلهفة الأطفال لحكايات الجدة • همست نادية فى أذنى :
— يظهر أن فنجانك فارغ •

— بالعكس ، لابد أن يه كلاما كثيرا للدرجة أنها محتارة فيه •
ولم أكد أتهى حتى قالت بنبرة ثقة : ياكمال يابنى ، فنجانك
يساوى ألف جنيه •

— ياه • طلع ذهب • ٢٠٠

— صدقنى فيه خبر مهم •

— اسمى طلع فى الأعارة •

— حاجة أهم •• حاجة تعلم بها أنت ونادية •

التفت إليها فابتسمت وأشارت الى بطنها ، فعرفت : آه ، اذن فهو
ولى العهد .

— أراه يجلس بينكما كبدر منور .

اخترقت مسامعنا دقات مضطربة وسمعت لدى خروجي آنين
بكاء ، فتحت الباب فارتدى دعيس نين ذراعى وانخرط فى بكاء
تشنجى ، حاولنا تهدئته. ومرت دقائق ونحن نستفسر منه دون
جدوى حتى سأله حماتى : أبوك جرى له حاجة ؟

.. ما .. م .. مات ، أبويا .. أبويا .. يا بويا

دقت على صدرها وصرخت من الأعماق : يا لهوى !

ثم وقعت على الأرض مغشيا عليها . بعد حوالى ثلاث ساعات
كنت قد استخرجت التصريح بالدفن وجهنا كل شيء . ثم وضعناه
فى الخشبة وسرنا الى العجانة ، سيطر على احساس بالتيتم كما لو
أننى فقدت أبى اليوم فقط . ومن منطلق شعورى بالمسئولية أعلنت
فى جموع المشيعين :

— يا جماعة قبول العزاء قاصر على الدفن وشكر الله سعيكم .

وحينئذ أقبل مجدى يصاقحنى : شد حيلك يا أستاذ كمال ،
البقية فى حياتك .

— حياتك الباقية .

— أوع تكون « زعلان » منى .

— لا ، أبدا .

— لو احتجت أى شيء ، أنا تحت أمرك .

— شكرا يا مجدى .

فى نفس اللحظة وقع بصرى على حماى التى أومات الى برأسها
وانسحبت من بين النسوة . ذهبت اليها فكلمتنى بلهجة قاسية :
ماكان العشم انك تخيب أملى ..

— أنا ؟ —

— أخى لازم يكون له سراقى أكبر من أى واحد فى البلد .
— ولزومه ايه اله - ادق ؟ - مانصرفه على السراقى نصرفه على
الأولاد .

— البلد لثا سلوها فلا تجعلنا معيرة .
— لا تجعلى أنت كلام الناس يصميننا عن مصالح الأيتام .

— ٤١ —

فى البداية لم أعرفه ، أحسست بشىء من الأسى وأنا أنظر اليه ،
كان يرتدى جلبابا قدرا ممزقا ، العرق والتراب على وجهه ، الطين
الأخضر يملو قدسيه :

— أهلا يادعيس ، ماذا تفعل ؟

— أحول سباحا للغيط .

— ألم تذهب الى المدرسة ؟

— أصل أمى ضربتنى وقالت : عندنا شغل فى الغيط .

— طيب ، لما ترجع لازم تذاكر .

— حاضر .

دققت الباب فخرجت قائلة : أستاذ كمال ، أهلا وسهلا ...

تفضل .

لاحظت أنها تهتم بنفسها أكثر من ذى قبل • دخلت لكى تفتح باب المندرة فقلت لها :

— تعالى : هبا كلمتان سأقولهما وأمشى •

— لا والنبي لتشرب الشاى •

— يا أم دعبس ، حرام عليك ماتفعلينه فى الولد •

— الولد ، من هذا ؟•

— ابنك دعبس •

— آه ، ابنى أنا •• يعنى أنا حرة فيه وعلى رأى المثل ••

— يا أم دعبس خسارة الولد يضيع مستقبله •

— ماكنت بوصى عليه •

— أهكذا ؟ طيب ايه رأيك أن المرحوم يأتى الى فى المنام

باستمرار ويوصينى عليهما •

— وماله • ابق بالمرة خل المرحوم يزرع لنا الأرض ا

— ياشيخة ، حرام عليك •• أفت قلبك حجر ••

— قل لى ، اعمل ايه اذا كنت لم أجد من استأجره ليزرع

الأرض ؟•

— ازرعها شرك •

— بدلا من أن أشارك •• أتزوج أحسن وعلى رأى المثل : ظل

رجل ولا ظل حائط •

— أهكذا ؟• وياترى من هذا ؟•

— صاحب القسمة والنصيب •

— طبما مجدى •

— وماله مجدى ٢٠ —

— أهو الذى سيزرع الأرض ١٢٠ —

— على الأقل كاتب الجمعية وألف واحد يتمنون خدمته •

— طالما أن الأمر كذلك فاعلمى أن المرحوم كتب الأرض والبيت

لدعيس وأخيه •

عضت شفيتها السفلى وعقدت ما بين حاجبيها بشيء من الغيظ

وهى تنظر الى فى صمت كأنها تريد أن تقول : « أنت السبب » •

لكنها بلغت ريقها وقالت بعد تفكير :

— على كل حال هما أولادى ومصالحتهما هى مصالحتى •

— عين العقل ، ومهم أن مجدى أيضا يعرف ١٠

— لا •

قالتها بفزع فقلت بنوع من التحدى : والله اذا كان شاريك ••

— لا أرجوك ، أتريد أن أستمع معه فى الحرام ٢٠

— ٤٢ —

أخترقت أذنى صرخات الوليد فتنفست الصعداء وحمدت الله

كثيرا ، خرجت القابلة وهى تبتسم •

وقالت مهتة : ألف مبروك يا أستاذ ، الذى أعطاك يخلق لك •

— شكرا يا ام على •

رأتنى فلمعت عيناها يريق السعادة وعلت شفيتها ابتسامة رقيقة •

— نادية ، كيف حالك الآن ٢٠ • حمد الله على السلامة •

— بنت •

قالتها بصوت مبحوح ، فأخرجت المنديل ومسحت حبات العرق
عن جبينها قائلاً :

— بنت ولا ولد ، كلها محصلة بعضها .. المهم أنت •
— نسميها آيه ٢٠

— نسميها .. اختارى انت •

— مارأيك فى اسم « ايناس » ٢٠

— آه ، على اسم بنت أختك •

— ليتها تكون مثل الدكتوراة ايناس •

— وأحسن منها أن شاء الله ، طيب أنا ذاهب الآن لكى أسجلها

فى مكتب الصحة ، أأست فى حاجة الى شئ من البندر ٢٠

— شكرا ، لا تتأخر على •

كان واقفا أمام دكان البقالة ، التفت فتقابلت عيوننا ، حاولت أن

أبجاهله لكنه نادى على ومشينا نتحدث فقال : بس ، أنا « زعلان »

منك ١٠

— لماذا ٢٠

— دعوتك على الفرح ولم تحضر •

— الحقيقة يامجدى ، الجماعة كانوا فى حالة « وضع » ولم

أستطع الخروج •

— على الأقل كنت جئت قلت مبروك ومشيت •

— كنت واثقا أنك ستقدر موقفى •

— دائما تغلبنى بأسلوبك البليغ .. وتم الوضع والحمد لله ٢٠

— الحمد لله ، أصبح عندنا « ايناس » •

— ايناس ؟ ألف ألف مبروك وتتربى فى عزك •
عند ناصية الشارع رأيت واجهة منزل أبى دعبس مطلية بلون
زاه •

— لماذا توقفت ؟ تعال معى •
قالها مجدى وهو يشير الى المنزل أو عش الزوجية فبلعت ريقى
بشئ من الأسى وقلت :

— مرة ثانية لأنى ذاهب الى مكتب الصحة •
— عدنى أن تجيء أنت والمدام •
— بإذن الله سنأتى لأن فيه موضوع أريد أن أحدثك فيه •
— بخصوص ايه ؟ •
— دعبس وأخوه •
— لا ، اطمئن .. أنهما فى عينى •
— أمهما كانت تقسو عليهما •
— كان زمان ولن أسمح لها بذلك الآن ، تأكد ياكمال اننى
أعاملهما معاملة أب لأبنائه •
— وهذا هو عشمنا فيك •

— ٤٣ —

اقتربت من الباب فدوى فى أذنى صوت حمانى :
— أهذه أم ؟ أليس لها قلب ؟ آه المجرمة ، والله لازم أفضحها
هى والخنزير الذى معها •
دفعت الباب ودخلت فوجدتها تضع كمادات فوق عينه اليسرى :

— ماذا جرى ؟

— تعال ، تفرج .. عين الولد كانت مستضيق ، أنظر .
قالتها ورفعت الكمادة فرأيت عينه زرقاء من أثر ضربة أو لكمة
قوية ، سألته : من الذى ضربك يادعيس ؟

فتنهده وأجاب من بين دموعه : أمى هى ومجدى .

— واية السبب ؟

— طلبت منى أروح الفيط ، قلت لها عندى مذاكرة .

— آه ، طيب .. تعال معى .

— لا ، لن أرجع لزوجها يضربنى .

— انه بيتك ، أنت وأخوك .

— لا ، سأبقى هنا .

كان الباب مواربا وصوت البكاء يختلط بزقزقات الأئین ، كانت
تلطم خديها وابنها الثانى يجلس أمامها محملا فى لاشى ومتوجعا :

— آه ، آه ، يا بوى ، آه .. آه ..

— مالك يازعيلة ؟

— والنبى ماتضربنى يا عم مجدى والنبى ..

قالها فى توسل والذعر يكحل عينيه رافما يديه بذلة أسرى
الحرب .

— ليس مجدى يا حبيبى ، أنظر . أنظر .

— أنا كمال يازعيلة .

— خذ يا حبيبى المعسلية التى تحبها .

— قولى له لا يضربنى .

- لن يضربك يا حبيبي •
- الولد حصل له ارتجاج فى المخ ، أنت عملت فيه آيه ؟•
- آه يالهوى ، يامصيتى ، يا حبيبي يابنى •
- أدخله لكى ينام •
- قم ، قم يا حبيبي لكى تستريح •
- حاضر ، بس والنبي ماتضربنى ياعم مجدى •
- اعملى حسابك ، الولد لو ظل على هذا الحال سأبلغ النيابة •

— يالهوى • يالهوى •
 قالتها بصرخة محنومة وقفزت تمسك الولد الذى كان قد اصطدم بالحائط •

- ولد ، زعبله •• انظر ، انظر الى ، ألا ترانى ؟•
- يالهوى ، زعبله ، رد على يا حبيبي ، ألا ترى صحيح ؟• ••
- خلاص • عمت ؟ يالهوى •• أ
- انطقى ، قولى •• عملت ايه فى الولد ؟•
- آه يا حبيبي يابنى ، هو ، هو الذى ضربه •• أهى •• أهى ••
- هو من ؟ حبيب القلب ! أفنت لو أم كباقي الأمهات كنت جافظت على أولادك وعرفت كيف تحميمهم •
- من يوم ما عرف ان البيت والأرض مكتويان لدعس وأخيه وهو يريد أن يخلص منها •
- وكيف عرف ؟•
- كان يريد تنازلا منى فقلت له الحقيقة •

— لو سمعت كلامي كان الذي جرى ماكان ، انما .. كل شيء
انتهى وراح لحاله .. قومي ، قومي ياست هانم اغسلي رأس الولد
بماء بارد ، قومي ياظالمة .

— أعمل ايه بس ، اعمل ايه ؟
تمتتم بها وانتفضت واقفة والدموع تجري من عينيها ، بدأت
تصب الماء على رأسه وهو يصرخ ويبكى .
ثم جففت رأسه ومشطت شعره ، حلق في بنوع من الادراك
فسألته : زعبله .. من أنا ؟

— أنت الأستاذ كمال .
— شاطر يا حبيبي شاطر .
— خذ العسلية يا زعبله .. الحمد لله .
— بهذا الشكل ، أنت غير جديرة بأن تكوني أما ويستحسن أن
يدخلا ملجأ الأيتام .
— ملجأ وأنا عايشة ١٠ لا ، لا يا أستاذ كمال .
— يبقى لازم تكوني شديدة مع مجدى .
— أهلا ، أهلا يا كمال .

قالها مجدى بنبرة خبيثة ودخل يمد لى يده وكأته لم يسمع
شيئا ، صافحته فضغط على يدي قائلا . ابتسامة صفراء تعلو شفقيه :
— اجلس ، اجلس .. اعلمى « شاي » يا أم دعيس .
— لا شكرا ، لا وقت عندي .
— اجلس ، عندي لك كلام كثير .
— والله أنت عارف البيت ، ابق تعال .

غلبنى النعاس وأنا جالس أمام التلفزيون وتبعت على صوت نادبة : كمال ، قم لتنام ويستريح جسمك •

— هه ، لماذا أطفأت التلفزيون ؟•

— برامج مملة بضيوفها وأحاديثهم •

— ياه •• أشعر أن جسمى كله مفككا •

— قلت لك ماما عارفة السكة فلم ترح نفسك وذهبت معها •

— الواجب يا نادبة ، أنت عارفة أن مامتك حساسة قوى للحاجات

المتصلة بالذوق ••

— كان الواجب أن حسين هو الذي يأتى ليأخذها •

— ما أنت عارفة أن زوج أختك رجل أعمال ومشغول باستمرار •

— هيا بنا •

ولم أكد أضع رأسى على الوسادة حتى غرقت فى النوم ورحت فى

دنيا ثانية •

ملأت جرة الماء من النبع ثم حملتها ومشيت ، رأيته قادما من

بعيد ، قصير القامة ، يسير فى العناء ويداه معقودتان خلف ظهره ،

له شاربان مربعان وخصلة شعر تتدلى على جبينه ، عيتان عسليتان

تسعان بالذكاء ، يرتدى بذلة كحلى بلا نجوم ، قميص أبيض منشى ،

ربطة عنق خضراء بها وردة صغيرة • وضعت الجرة ووقفت خلف

جزع شجرة أراقبه محدثا نفسى :

— « أهذا هو هتلر ؟ فعلا هو ، لست تأثما عن ملامحه ، أيفتبنى •

هنا والعالم كله يعتقد أنه اتحر ؟ !
 أهذا هو مجرم الحرب العالمية الثانية ؟ ياله من حقير ، ومع ذلك
 فهو مسكين .. سجن نفسه فى هذه الأيكة منذ عام ١٩٤٥ .. لكنه
 يتحرك بنشاط زائد وحيوية فائقة .. كيف احتفظ بشبابه هكذا
 أكثر من ثلث قرن ؟ شئ غريب .. يا الهى ، انه متجه الى هنا ، يدقق
 النظر كأنه يرانى ، فعلا هو قادم نجوى ، يجب أن أهرب من هذا
 المجنون » .

— كمال .

أخبرتني المفاجأة والجمتنى فى مكاني مشلوها لا أصدق
 ما أرى .

— تعال .

قالها وهو يتسم واستطرد بنبرة فيها كثير من الود : ألا
 تعرفنى ؟ .

— من أنت ؟ .

— أصحيح لا تعرفنى ؟ .

— قل لى من أنت ؟ .

— أنا أدولف هتلر .

— وماذا تفعل هنا ؟ .

— سنتعاون من أجل سلام البشرية وأعمال الخير .

— أية أعمال تلك ؟ .

— انقاذ مايمكن انقاذه ، فالأرض مهددة بحرب عالمية ثالثة والسلام

فى خطر .

- إذا كانت هذه ارادة الله فلا ..
- والطبيب لا يمنع ارادة الله ، لكنه يفعل ما عليه .
- وماذا عليك أن تفعله ؟
- لست وحدى ، هناك مجموعة من العلماء والمفكرين فى أجزاء مختلفة من الأرض ، يتعاونون معى فى تنبيه العالم والتحذير من الكارثة .
- أنت الآن تذكرنى « بالفريد نوبل » .. اخترع وسائل الدمار ثم ندم ورجع يبحث عن السلام المفقود ويخصص جزءاً من ثروته لمن يعمل على اعادة السلام .
- حاول أن تنسى حياتى السابقة .
- لكن جرائمك لن تمحى من ذاكرة التاريخ .
- ظلم ، ظلم .. لماذا خصونى بهذه الجرائم دون بقية زعماء العالم ؟ ألا تبنى هزمت ١٩٠ .
- لأنك الذى أشعل الحرب العالمية الثانية .
- أبداً . ونداءاتى العديدة من أجل السلام خير دليل على أننى لست المسئول عن اشتعال الحرب .
- فمن المسئول إذن ؟
- سوف يثبت الدمار الرهيب الذى سيحدث مستقبلاً أن الذى يتحمل المسئولية الحقيقية هم برابرة الغرب الأنجاس .
- ولم تتعب نفسك الآن طالما أن الدمار سيحدث لا محالة ١٩٠ .
- فلننقذ مايمكن انقاذه .
- الله هو المنقذ .

- هذا لا يمنع أن تفعل ما علينا •
- تحدث عن نفسك •
- مستندم يا كمال •• قبل ذلك خدعنى أفضل أصدقائى وعرفت معنى الخيانة • أما أنت فسوف أتتقم منك ، وستندم كثيرا •
- اتركنى وشأئى ، أتركنى •• قبضتك تخنقنى ، انك تخنقنى •
- كمال ، كمال •• مالك ياخويا ، فيه ايه •• ؟
- هه ، نادية •• كابوس ، كابوس يا نادية •
- قم فتوضأ وصل ركعتين لله حتى يزول عنك •
- اللهم اجعله خيرا •
- وفى هذه اللحظة دق الباب وكانت الساعة تشير الى العاشرة والنصف مساء ، خرجت وأنا أردد باستغراب :
- من يأتى الذى جاء فى هذا الوقت ؟•
- وفتحت الباب فقال : مساء الخير يا أبا كمال •
- أهلا مجدى •
- ممكن أدخل •
- تفضل •

— ٤٥ —

وقف يتنمر بعينيه على محتويات الغرفة ثم قال بنبرة نفاق :
 — دائما ذوقك سليم يا كمال •
 تملكنى الغيظ فنفخت بشىء من الضيق وجلست صامتا ، فرمقنى بنظرة خبيثة وقال :

- يظهر انى جئت فى وقت غير مناسبه •
- أنا فعلا كنت نائما •
- آه • الموضوع أصله مهم ومستعجل و •• آين الحاجة ؟•
- الحاجة من ؟• حماتى ا فى مصر عند ابنتها الكبرى •
- كنت أحب انها تكون موجودة •
- لماذا ؟•
- طيب اسمع بكمال ، اعطنى الأوراق التى عندك •
- أوراقى ماذا ؟•
- أوراق دعبس وزعبله المسجلة فى الشهر العقارى •
- ها • ها • ها •• اتعتقد اننى ساذج الى هذه الدرجة ؟•
- فهمتنى غلط يا صاحبى ، أنا قصدى أطلع عليها •
- وليس لك أن تطام عليها •
- هل نسيت اننى مسئول عنهما وعن أمهما ؟•
- ولم أنس أنك تطمع فيهما •
- كمال يا حبيبى ، نحن أصدقاء وفيه مثل يقول : « يا بخت من نفع واستنفع » •
- لست أنا الذى يطمع فى مال الأيتام •
- طول عمرك ستعيش قفلا وتموت قفلا •
- لو لم تكن فى بيتى •
- بقى لك بيت ياتحفه ؟•
- قالها باحتقار وزغدنى فى صدرى فقلت معاتباً : هى حصلت أن تمد يدك على •

— وأقتلك لو وقتت فى طريقى •

— انت يامجدى ؟ آه ياسافل ، قم ، أخرج من بيتى •

— طيب خذ •

دفعنى بكل قوته وارتمى فوقى يسدد فى ضلوعى لكلمات ثقيلة ،
وفى اللحظة المناسبة دخلت نادية ممسكة بيد « الهون » النحاسية
الغليظة ، ضربته على رأسه فوق مغطيا عليه والدم يسيل بفزارة ،
رمت يد « الهون » روقت مشدوهة تحمق فيه بصت الجنون ،
حاولت أن أوقفه بلا جدوى ، صرخت بفزع :

— مات • مات • مات •

— هس ، اسكتى •

قلتها وأنا أمسك جبهتى من الصداع ، دارت بى الدنيا وشعرت
بأننى قد وصلت الى نهاية كل شىء ، تنبعت على صوت دعيس
الذى وقف بحدق ويفرك عينيه قائلا بنبرة من يريد أن يطمئن :

— ايه ، هو مات خالص •

سمعت طرقا على الباب ، ارتبكت ، مرت لحظات والطرق
يتزايد ، فنزلت وأنا ألث ، فتحت الباب ، كانوا بعض الجيران ،
قال أحدهم : حصل ايه عندكم يا أستاذ ؟

— أبدا ، لا شىء •

— سمعنا صراخا •

— لا ، ليس من عندنا • • تفضلوا •

— شكرا ، شكرا •

كانت تبكى بنوع من الذهول ، أخذتها من يدها وخرجنا من

الغرفة ، حاولت أن أتمالك أعصابى وأركز تفكيرى فى شيء محدد .

— اسكتى . ولا مبسوسة لهذه الفضائح .

— كان قصدى أبعدك عنك ، ماكنت أريد قتله .

— المهم . ماذا تفعل الآن . ؟

— هيا نضعه فى جوال ونرميه فى البحر أو نحفر وندفنه .

— سيخرج عفريت من تحت الأرض ويرشد عنا .

— يعنى خلاص ١٠ اهـ . اهـ . يا حبيبتى يا بنتى . .

— اسكتى لا تفضحيننا ، اسكتى . أنا لن أتخلى عنك .

— يعنى نقضى عمرنا فى السجن .

— لا . سنهرب من هنا . .

— ٤٦ —

عند منتصف الليل ، خرجنا تحت جناح الظلام ، نهزول بخوف وحذر ، أعمدة النور ذات اللببات الشاحبة تفرعنا كأنها المشائى ، حركتنا المضطربة تثير شهوة الكلاب للنباح فتخفق قلوبنا بعصبية ، بكت ايناس بصوت مرتفع ، تملكنى الغيظ فقلت هامسا : « سدى فيها » . خارج القرية ، الظلام حالك ، بدأت أشعر بنوع من الأمان ، وصلنا الى كشك المرور ، كان العسكري يغط فى نوم عميق ، وقفت على بعد خطوات من مكتبه ، أفكر بشيء من الارتباك اقتربت قائلا : احم ، احم .

- من ؟ ماذا ؟ نعم •
- مساء الخير يا حضرة الصول •
- أهلا وسهلا ، أى خدمة ؟ •
- أرجو أن تساعدنا فى ركوب سيارة متجهة الى القاهرة •
- قلتها وأنا أضع فى يده ورقة من فئة الربع جنيه ، دسها فى جيبه
- وقال : كم الساعة معك الآن ؟ •
- الثانية عشرة الا ربعا •
- فيه سيارة تمر كل ليلة فى هذا الوقت ، تعال •
- قالها وخرج ينظر للأضواء الآتية من بعيد •
- كانت سيارة نقل ضخمة ، أطل سائقها محييا بصوت محشرج :
- مية مسا •
- خذ يا شربيني ، خذ الجماعة معك •
- آه وماله •
- رفعت دعبس الى الصندوق الممتلئ بأجولة لم أتبين محتوياتها •
- ثم ناولته حقيبة الملابس وركبت الى جانب السائق والى يميني
- جلست زوجتي تحمل ايناس ، أضاء كايينة السيارة ونظر الى
- بطرف عينه وهو يسأل : الى أين العزم ؟ •
- هه ، نحن .. الى روض الفرج •
- لا ، أنا لحد شبرا •
- ربك يدبرها •
- وايه السبب انكم تأخرتم هكذا ؟ •
- والله ، المدام .. أبوها فى حالة خطيرة •

وكانها كانت تنتظر هذه الفرصة فانفجرت فى بكاء حار ، فتأثر السائق وقال : « لا حول ولا قوة الا بالله .. ربنا يأخذ بيده ويشفيه ، اسكتى يا ابتى وخالى عندك ايمان بالله عز وجل ، ادعى له أحسن .. وأنا سأوصلكم لحد البيت » .
- ربنا يسلم طريقك .

قلتها وأنا أركز عقلى محاولا جمع أفكارى المشتتة .

— ٤٧ —

توقفت السيارة على جانب الطريق حيث توجد خيمة شبه مظلمة ، التفت قائلاً : نمون هنا الأول ونعمر الطاسة .

وفى نفس اللحظة سمعت من يقول : شرينى وصل يارجاله .
وخرج من الخيمة خمسة رجال حفاة يرتدون الجلابيب .
-- ألا تحب أن تأخذ شايًا .

- لا ، شكرا .

نزل متجها الى الخيمة ، وقف يتحدث مع الرجال الخمسة وأشار الى الأجولة قائلاً : كفاية عشرون الليلة .

ثم دلف الى الخيمة قائلاً بصوت مرتفع : مية مسا .
اقتربت عربة « كارو » وبدأ الرجال يحملونها من أجولة السيارة .
على ألدن فى عروقى وتفتحت من الغيظ :

- أليس حراما أن قوت الشعب يسرق هكذا .

- اسكت ياكمال وخلينا فى الخيمة.التى وقعنا فيها .

- ربنا يستر ، تبقى داهية لو كان مراقبا وأمسكوه ونحن معه .

- انى أموت فى جلدى من الخوف •
- مرت لحظات من القلق والتوتر حتى استدارت العربة الكارو
وابتعدت بما عليها من أجولة ، ثم خرج السائق من الخيمة حاملا
صفيحة ماء ، أفرغها فى مقدمة السيارة وركب قائلا :
- هيا بنا ، توكلنا على الله ، النهاردة كم فى العربى ؟•
- تقريبا ٢٢ •
- لذلك تأخر القمر •
- كان الطريق موحشا تحيطه الأشجار العالية من الجانبين وضوء
السيارة يחדش الظلمة فى حياء •
- سكت برهة ثم عاد وسألنى : وأنت ، ماذا تعمل ؟•
- مدرسا •
- الله يكون فى عونكم ، أنا أعذرکم .. الجيل طالع « مشيطن »
هذه الأيام ولا يهتمون الا باللعب والفرجة على التلفزيون •
- فعلا •
- أولادى ، وضعت أصابعى فى الشق منهم ، عندى ولد رسب
فى الأعدادية ثلاث مرات •
- المفروض يكون فيه رعاية من البيت فى المذاكرة بجانب
المدرسة •
- أنا فى شغلنى كما ترى ليلا ونهارا فلا أراهم الا من الجمعة
للجمعة ولا أقسو عليهم حتى لا يكرهوتى •
- وأمهم ؟•

— تمبت معهم ، وبينى وبينك أتم غلبتوا الجزارين فى حكاية
الدروس الخصوصية •

— أنا شخصا لا أعطى دروسا •

— تبقى غلبانا •

— أركز كل جهدى فى الفصل •

— ومن مثلك ؟! الكل يريد أن يعيش ويتحایل فى مص دماء
الآخرين ، المشية نار ، تعمل آيه •• أنا ومن بعدى الطوفان •

— لو كل واحد يراعى ضميره ••

— ضمير آيه ياسى الأستاذ ! ضمير آيه ، يووه ، انت ظهرت ياقرء
قطع !•

— نعم •• ؟

— ألا ترى هذا الكونستابل ؟• •• عامل « أبونيه » معى ،
كل ليلة ينط لى مثل « أبى فصادة » • ويلهف المعلوم •

حينئذ كان الكونستابل قد سبق السيارة وأمره بالتوقف ، ثم
نزل عن الموتوسيكل وجاء يسأله :

— رخصتك وخط سيرك •• من هؤلاء ؟•

— مساء الخير يا حضرة الصول ، جناعة بلدياتى •

قالها السائق ومد يده بورقة نقدية ، خطفها الكونستابل وانصرف
قائلا : مع السلامة •

تملكنى احساس بأن أخى قد يتخذ موقفا سلبيا ، لكننى محتاج

الى بعض الوقت لكي أحدد الخطوة القادمة ، ضغطت زر الجرس مرتين ، سمعت صوت ارتطام شيء .

— من ؟

قالتا أشجان زوجة أخي بنبرة فيها نوع من الدهشة فقلت :
— أنا كمال .

— ألم يكن فيه نهار سيطلع ؟

انفردت هذه العبارة في قلبي كخنجر ملتهب ، فتحت الباب ووقفت ترمينا بنظرة كثيفة وتلوي شفتها السفلى بامتعاض قدخلت قائلاً : تعالى يا نادية .. أدخل يادعس .

— من يا أم وفاء ؟

— أخوك .

— كمال .

قالها بمنزلة من اللفظة والاستغراب وجاء مزحياً :

— أهلاً يا كمال يا حبيبي ، ايه .. الوقت متأخر قوي ، مالك ..

حصل ايه ؟

— نسيت أقدم لك نادية زوجتي ..

— أهلاً وسهلاً ، كمال ، ائت شكلك متغير .. ايه الحكاية ؟

— الحقيقة ، أنا واقع في مشكلة كبيرة وعشمتي أنك تساعدني أو

على الأقل تتحملني حتى أجِد مكاناً ..

— كمال ، حصل ايه .. قل لي .

أطلعتني على ما حدث ، فضرب الهواء بكفه وانتفض واقفاً يهز رأسه بعصبية وينظر للأشياء بتوَع من الدهول .

خرج الى البلكونة ونادى على فتمت اليه • أمسكنى من كنفى
وهزنى بقوة :

— اسمعنى جيدا ، ان كانت هى قتلت فشئ طييعى أنها تأخذ
جزاءها ، أما أنت ••

— انها كانت تدافع عنى •

— كان ممكن تبعده عنك من غير ما تقتل •

— هى لم تقصد قتله •

— والدبة التى قتلت ما نجها لم تكن تقصد •

— أنا لا يمكن أنغلى عنها •

— يعنى تضع مستقبلا • ١٩٠

— اذا تخليت عنها سأعيش نادما عليها بقية عمرى •

— مع الأيام ستسمى •

— أنسى كيف ؟ هل أنسى انها تعذبت لأنها أنقذت حياتى •

— يا كمال ارجع لعقلك وحافظ على مستقبلك •

— مستقبلى معها ولا تنس اننى قلت للجيران : لم يحدث شئ •

— خلاص ، أنت حر •• عقلك فى رأسك تعرف خلاصك ، انما

تذكر أن لى بناتا ويهمنى أحافظ على سمعتهم •

— يعنى ايه • ٢٠

— لن أنتظر حتى يأتى البوليس فيقبض عليكم هنا وانفضح فى

الحقة •

— وناوى تعمل ايه • ٢٠

— عندما يطلع النهار سأوجز لكم سيارة تنقلكم الى ابن خالتك

فى أم المصريين ، هناك أرياف وتستطيع أن تختبئ كما يحلو لك •

— ٤٨ —

كانت صدمة قوية ملأت حلقى بمرارة العلقم ومع أننى حاولت
جاهدا الا أجعلها تؤثر على معنوياتى الا أننى كنت خائفا أن تتكرر
من ابن خالتى ، مرت بخيالى فكرة أن تكون الجريمة قد اكتشفت
وظهرت فى الصحف بالخط العريض •

حينئذ كانت السيارة تمرق بنا فى شارع طه حسين بالجيزة ،
رأيت بائعة صحف ترتب بضاعتها على الرصيف ، طلبت من السائق
أن يتوقف ونزلت إليها : اسطنى الصحف الثلاث •

— أنت ٢٠

— الله • ا سعاد ٢٠٠

— أستاذ كمال •

صافحتنى بحرارة بالغة وسألتنى : وماذا جاء بك هنا الآن ٢٠

— الظروف ياسعاد • وأنت ٢٠

— أنا أبيع الجرائد هنا وزوجى بواب هذه المارة •

— زوجك ٢٠

— نعم ، رجل نوبى ظريف ودمه خفيف •

— أنت أصيلة وطيبة وتستاهلى كل خير •

— أنا ملاحظة أن شكلك — ولا مؤاخذه — مبهرل ، من هؤلاء

الذين معك فى السيارة ٢٠

— زوجتى وابنتى ودعيس •

— وماذا جاء بكم الى هنا الآن ؟
— سعاد .. قلت أن زوجك من النبوة ؟

— نعم ، نعم •

— ألا يمكنه أن يساعدنا في الهرب هناك ؟

— الهرب ! • يا حصرتي ! • أستاذ كمال .. هات الجماعة وتعال •
في الحجرة الضيقة تحت سلم العمارة جلسنا نفكر ونستعرض
أبعاد المشكلة والاحتمالات الممكنة ، بينما انخرطت زوجتى فى
البكاء ، فأسكتتها سعاد :

— اسكتى يا عبيطة ، أنت لا كان قصدك تقتلينه ولا حاجة ، انما
هى ارادة ربنا ونفذت على يدك ، خليك يا أختى مع زوجك
ولا تقولى أمى ولا أختى ، قال على رأى المثل : أن جاءك البحر
طوفانا حط ابنك تحت رجلك •

— أسمع يا ولد العم •

قالها عم ادريس ذو البشرة الداكنة جدا ، والعمامة الضخمة ،
لأصعة البياض ، واستطرد وهو يرمقنى بنظرة ثاقبة من عينيه
البراقنتين كمينى القهد :

— الحياة فى النبوة الجديدة لن تنفعكم ، قاسية كثيرا وملينة
بالوحوش المفترسة والأفاعى •

— ياه ! وبمدين ياعم ادريس ؟

— الواحات .. الواحات مناسبة كثيرا •

— وكيف نصل اليها ؟

— يا ادريس •

— نعم ياسعادة اليه •

نهض خارجا بسرعة قبل أن يأتى هذا « البيه » ويرانا •
ربت سعاد على كتف زوجتى وقامت : « سأترككم الآن لكى
تستريحوا ، اطمئنا ، ادرىس شهم وسيساعدكم فلا تحملا
هما » •

خرجت وأغلقت الباب كان دعيس ممدا على السرير وغارقا فى
نوم عميق ، التفت إليها فقالت : أنا خائفة •

— سعاد بالذات لن تغدر بى •

— زوجها قد يفعلها ويبلغ عنا •

— اطمئنى يا نادية ونامى لكى تريحى أعصابك حتى تدبر أمرنا •

— لا ، قم أنت فاسترح على السرير بجانب دعيس •

— أنا فعلا نفسى أناام ولو خمس دقائق •

أخذت نفسا عميقا وتمددت على الحصىرة ثم أغضبت عيني •

ملأت أذنى أصوات اليكترونية مزعجة ، أحسست بارهاق
شديد ، أعصابى مفككة وشعور بالتنميل يسرى فى أطرافى
كالخدر ، حاولت أن أقوم ، فلم أستطع ، رفعت ذراعى فى ببطء
وحذر ، بدأت أحرك أصابعى فرأيت شيئا مخيفاً ، أظافرى طويلة
كمنقار الهدهد وبشرة يذى مكسوة بطبقة من التراب الناعم ،
أحسست أنها ليست يذى وتلكنى الرعب ، أغضبت عيني وحاولت
أن أنسى ، نظرت ثانية فتأكدت من صدق ما رأيت ، فتحت النافذة
وملأنى الرعب : شوارع كاملة غاصت فى الأرض ، المباني
الشاهقة انهارت ، المآذن طارت ، الإيقاض تتناثر حولها جميعاً

بشرية ، مخلفات صناعية ، كلها مناظر كثيفة تبعث على الرعب ،
لمحت على مدى النظر هوائيات اللاسلكى ، أطباق الرادار تعلو
أسطح زجاجية مائلة .. المنازل قصيرة مثل أكشاك بيع الصحف .
رأيت ميدانا فسيحا يشبه المطار ، خرجت متجها اليه ، ياهول
مارأيت : الناس مشوهون ، جميعهم كلل التسيب رهوسهم :
وقفت أحلق بمزيج من الدهشة والأسى :

— أهذا معقول ؟! شئ فظيع أن تتحطم كرات الدم هكذا
تحت الجلد فنمتلىء أجسامهم بالبقع السوداء الزرقاء .. يا الهى ،
مالهم يمشون فى كسل وقد تبلدت مشاعرهم . نرت أتفرج
عليهم ولا أجرؤ ، على التحدث مع أحدهم ، ويبدو أنهم كانوا
يعملون لى نفس الشعور بالخوف ، نظراتهم يشوبها الحذر ،
همسهم خافت بلا مبالاة .

واحد منهم أشار الى وعلى شفتيه آثار ابتسامة ، يسير نحوى ،
أجرى فينادينى : كمال ، كمال .
لحق بى فأحسست بعق المأساء وأنا أنظر فى وجهه الأرقط
المتورم ، ابتسم وقال :

— كمال ألا تعرفنى ؟! أين كنت ؟!

— تحت الأرض .

— أين زوجتك ، أرجو أن تغير نظرتها للانجاب .. كمال ..
البشرية الآن مصابة بحالة عقم . وأنت نجاك الله من الحرب
وأهوالها فيمكنك أن تنجب أطفالا .. قل لى أين زوجتك ؟!

... أهى تحت الأرض ؟!

نعم ، نعم .. أليس عندكم ماء
 - عطشان ؟ تعال معي ، يتبر فريب .
 المنزل من حجرة واحدة ، مكيف الهواء ، بها كل شيء : سرير
 معلق ، مقعد وثير ، مائدة مستديرة ، أجهزة مختلفة الأشكال
 والألوان ، زجاجات وكؤوس ..
 أشار الى المقعد : تفضل .
 ثم وضع في يدي ثلاثة أقراص وناولني الكأس محذرا : ان
 كنت عطشانا بدرجة كبيرة فلا تشرب مرة واحدة .
 - ماهذه الأقراص ؟
 - وجبة غذائية .
 - أتعيشون عليها ؟
 - لا ، انها غالية جدا .. هذه كمية بسيطة ، وصلتني أخيرا من
 أمريكا .
 - أمريكا ؟ أمازلتم تلهثون وراءهم ؟
 - للأسف .. قضيت عمري في خدمتهم وشاركت في انجاح
 تجاربهم وعندما صعدوا وبنوا مدنهم على الكواكب الأخرى ،
 تركوني وفضلوا من تجرى في عروقهم دماء الغرب .
 - شيء طبيعي .. هل نسيت ما فعلوه بزواج أفريقيا ؟
 - يبدو أننا خلقنا للأرض فقط .
 - لا ، انهم عاشوا للأرض باخلاص فارتفعوا الى الكواكب أما
 نحن فقد زاغت عيوننا الى الفضاء قبل أن ترسخ أقدامنا على
 الأرض .

— كنا كمن رقصت على السلم •
 — أستاذن الآن وأشكرك على هذه الحفاوة •
 — لا ، أنت لن تخرج •
 — أرجوك اتركنى أمشى •
 — اجلس ، لن تخرج •
 — اتركنى ، ابعد عني •• دعنى وشأنى ، ابعد •• وجهك قبيح
 •• أريد أن أعيش ، اتركنى ••

تنبهت على صوت زوجتى : قم يا كمال ، اصح •• مالك ؟
 — هه ، كابوس يا نادية ، اللهم اجعله خيرا •• عم ادريس أين
 هو •• ؟

— من ساعة ما خرج هو وسعاد ••
 — أنا جيت أهه •
 قالتها ودخلت وهى تحمل لفافة كبيرة ، أفرغت السلامون والجبن
 والزيتون فى الأطباق ، رصتها مع الخبز على الطاولة ثم نادى
 زوجها الذى قال :

— اسمع يا ولد العم ، أنا لا أحب أن أعزم ، البيت بيتك ••
 هيا ، بسم الله •
 خيم الصنيت للحظاظ ثم نظر إلى دعبس وقال :

— « زمان ، زمان قوى ، كنت فى سن هذا » الدعبوس •• ومات
 سيد الوالد ، قالوا توفي بالسودان ، كان تاجرا •• وتزوجت
 أمى ولد عمها ، كان هو بواب هذه العمارة ، أحضرونى إلى هنا
 وكان أصعب شئ ، فارتقت النوبة والصحبة إلى الأبد ، تركت

النخيل والنيل ، والسبك والدوم ، القمر والشعير .. حزنت على هذه الأيام الحلوة رغم بأسها وشقائها ، والحقيقة يا ولد العم ، النبى آدم حزن على أيامه وذكرياته ولا يدرى أن الرب فى التدبير، يعنى لما بنو السد العالى غرقت النوبة ونقلوا الأهالى «شعقوهم» فى الصحارى والجبال ، الوديان والواحات ، أحسن شئ أن النبى آدم يرضى بقسمته ويعرف أن المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين .. »

— سفرة دائمة يا عم ادريس ..

— كل يا ولد العم ، كل ..

— شكرا ، شبع والحمد لله .. أنا مقتنع بكلامك يا عم

ادريس ، لكن ايه الحل .. وكيف نذهب الى الواحات ؟

— أيوة ، أنا فكرت كثيرا فى موضوع الواحات ، أول حاجة

قطار الصعيد .. وفى محطة أسيوط تنزلون ..

— أسيوط ؟ لا ، هناك ضابط يعرفنى ..

— وهو ماله ومالككم ، كيف سيعرف أنكم فى أسيوط ، خلى

بالك معى ، موقف السيارات المتجهة الى الواحات تسأل عنه ..

وتركبون الى واحة أولاد سعيد ، وحالما تصل أسأل عن العرجاوى ..

ت من ١٢ ..

— العرجاوى ، اسمه العرجاوى ، ولد عمى ولما يعرف أنك من

طرف ادريس عبد المولى سيقوم بالواجب ..

— والقطار مواعده الساعة ثم ..

— السيارات المتجهة الى الواحات تخرج من أسيوط فى الصباح

الباكر ، يقى أجسن قطار هو الذى سيقوم من مصر فى الحادية
عشرة مساء •

— ٤٩ —

ودعنا سعاد بالقبيلات والدموع ، وضعنا الحقائب فى مؤخرة
السيارة وركب معنا عم ادريس ، كانت الساعة تشير الى العاشرة
مساء ، ومع أننى اجتهدت فى تغيير مظهرى وارثديت الجلبسات
الا أن قلبى كان يخفق بشدة وتملكنى احساس بالخوف من
المستقبل المجهول الذى ينتظرنا • بعد حوالى نصف ساعة دخلت
بنا السيارة الى ميدان رمسيس ، وما ان وقع بصرى على مبنى
محطة مصر حتى أصابنى شيء من الاضطراب وتخيلت أن العساكر
سيقبضون علينا داخل المحطة ، توقفت السيارة ونبهتنى زوجتى أن
أسارع بدفع الحساب ، أخرج عم ادريس الحقائب فحملناها
وسرنا الى الرصيف رقم ٧ ، الذى كان يعج بالحركة • الناس
يتزاحمون بأحمالهم الكثيرة ، يتصايحون مع أقاربهم ، وسيارات
الصحف تتسابق لافراغ شحنتها على الرصيف لتذهب وتأتى
بالمزيد ، الحركة متصلة ، الضوضاء عالية ، الدقائق طويلة ، ثقيلة
كثيبة •• أخيرا ظهر القطار وتدافعت أمواج من البشر ، فجأة لم
أر عم ادريس ، اختفى أثناء معركة الركوب ، لم أدر كيف قفز
داخل القطار وأمل من الشباك ينادى علينا ملوحا بعمامته التى
وقعت بسبب الزحام أو ربما خلصها لكى لاتضيع ، ناولته الحقائب
من الشباك ، فوضعها على الكرسي وحجز لنا الأماكن حتى صعدنا

اليه ، فوجدناه قد اشترى زجاجات المياه الغازية المثلجة ، شربناها
وظل جالسا معنا حتى الدقائق الأخيرة ، ثم قام فصافحنا وقال :
— لا تنس واحة أولاد سعيد والعرجاوى ولد عمى ، بلغه
سلامى وأشواقى •

سمع صوت محرك الديزل فنزل ووقف على الرصيف ، فى عينيه
نظرة حنان وحب وعلى شفثيه ابتسامة فاترة ، بدأ القطار يتحرك ،
فاقترب من الشباك ألقى الى طاقيته البيضاء قائلا : تذكرنى بها •
ضاعت منى الكلمات ، اختنق صوتى وسالت من عيني دموع
ساخنة ، رأيت حياتى كشريط للذكريات ، يدور فى رأسى مصحوبا
بدقات حزينة وأصوات مزعجة كصراخ البومة أو لعله صـوت
القطار نفسه ، تواردت على ذهنى صورة مجدى ، تنطبع بلامح
شيطانية : يضحك ، يكشف عن أنيابه ، يخرج لسانه ، يحملق فى
غضب ، يتأوه ، يقهقه ، يقع مغشيا عليه ويسيل الدم من رأسه •
— كمال ، اقل الشباك •

كان الجو باردا والريـح تلمـع وجوهنا ، الشباك بلا زجاج ،
حاولت أن أرفع « الشيش » دون جدوى ، فتحت الحقيبة الكبيرة
أخرجت البطاية :

— خذى ، ضعيفا على كتفيك •

— أنا حاملة هم ايناس •

— غطيها بالبالطو وأنت يادعبس خذ ، البس هذا البلوفر •
سـرحت مع خواطرى ، تذكرت أحلامى السابقة بأن آخذ فرصتى
فى الاعارة وتحسن حالتى المادية فأمتلك سيارة ويكون لى رصيد

فى البنك ثم أترك مهنة التدريس وأفتتح مكتبا للتصدير والاستيراد فأصبح واحدا من رجال الأعمال المشهورين • بلعت ريقى بمرارة الجنظل ، تنهدت فى أسى ، ملأنى شعور بالحسرة وقلت فى نفسى : « يالها من أحلام ، لا يعرف الانسان قيمة ما هو فيه من نعمة الا اذا حرم منها •• أنا لا أريد الا أن أعيش •• فى صحراء ، فى جبل ، فى واحة •• المهم أن أتنفس الحياة حتى لو كانت فى كهف ، اغلى وأروع ما فى الحياة هو أن نشعر أننا أحرار ، واذا كان مقدرا لى أن أصبح غنيا فلماذا لم أولد أصلا فى عائلة ثرية ، صدقت ياعم ادريس •• فعلا •• أحسن شىء ان البنى آدم يرضى بقسمته ويعرف أن المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين •• الله يمسك بالخير ياعم ادريس ••
 حينئذ تذكرت الطاقية البيضاء التى قذفها لى من الشباك ، أخرجتها من جيبى ولبستها •

— كمال ، أما زالت أسبوط بعيدة ؟
 — لا أعرف بالضبط ، لكن القطار سيصل بنا عند الفجر ، مالك نادية ؟
 — المص يمزق بطنى •
 — لا بد أنك جائعة ، أين « البندوشات » التى عملتها
 سعاد •

— فى الحقيبة الصغيرة ، أنا •• لى أكل ••

— يجب أن تأكل لى يضيع المص ، إنه من الجوع •

— لا ، ليس لى نفس •

— سأطلب شيئا ساخنا من عامل البوقية .

— ٥٥ —

لأول مرة فى حياتى ابتعلت عن الميزان والناس ، اللون الأصفر يخاصرنا من كل الجهات ، الصحراء ممتدة الى الأفق يرملها الكالحة وتلاها القصيرة ، الطريق الأسفلت شريط ضيق متعرج ، يملو ويحبط كاله ثمان اسود علق يتلوى لكى يهضم فريسته . السيارة تئن بحركها المتهالك وترتجف كلما انحدر الطريق تحتها . أحيانا كانت تظهر على الجانبين شجيرات خضراء قاتمة أو بقع من الأعشاب الشوكية حمراء اللون ، حاولت أن أفهم شيئا من أحاديث بقية الركاب دون جدوى ، كانت لهجتهم غريبة ، لم أميز منهم الا كلمات متفرقة : « الزيتون ، الله ، البئر ، الغلمان ، الأردن ، الطيور » .

سألت نفسى بشئ من الخيرة : « كيف يمكن أن تعيش بين هؤلاء القوم ؟ وماذا سأقول عن نفسى ؟ ومن أى عمل أكسب لقمة العيش ؟ هل أسألهم عن المراجاوى ؟ انتظرت حتى انتهى كبيرهم من حديثه ، التفت اليه وسأله : قل لى يا شيخ العرب . هل تعرف المراجاوى ؟ »

فوجدت به يكلثنى بالعربية الفصحى ، كيف لا أعرفه وهو الذى يشتري منى الأغنام والماعز ؟ ، لماذا لم ينتظركم بسيارته ؟ لا يعرف أننا قادمون .

— أقر ياؤ .

— نعم •

— العرجاوى رجل تقى ، السلام أمانة •

— يصل ان شاء الله •

أتلج صدرى ما سمعته من الشيخ فأجسست بالأمان وشردت
بخيالى أتصور العرجاوى كرجل ميسور مهيب وقلت فى نفسى :
« لا بد أنه سيساعدنا وقد يستعين بى فى تجارته ويجعلنى أمسك
حساباته ، اذن لاداعى للقلق » •

وبينما كنت أتأمل الطريق بنظرة تفاؤل تاركا لخواطرى العنان ،
توقفت السيارة وقال السائق :

— واحة السعدى ياسيدنا الشيخ •

— أتكلمنى ؟•

— نعم ، ألن تنزل هنا ؟•

— قلت لك واحة أولاد سميد •

— لا توجد واحة بهذا الاسم ، انها واحة السعدى •

التفت الى شيخ العرب فهز رأسه مردداً : نعم ، نعم •

— لكنى لا أرى شيئاً .. أين الواحة ؟•

— كان يجب أن ينتظروك هنا ياسيدنا الشيخ •

قالها السائق وفتح الباب ثم أشار الى الجانب الأيمن واستطرد:

« هذا المدق سيوصلكم الى الواحة لا تحيدوا عنه » •

كانت الشمس حارقة والرياح لافحة تلسع وجوهنا بذرات الرمال
الساخنة جدا ، حملنا الحقائق أنا ونادية ، أما دعبس فقد حمل ايتاس
ومشينا على المدق نصعد التلال ونهبط المنحدرات ، الموصاف

الرملية تطيش وتهدأ ، الأفكار تتزاحم فى رأسى ، تذكرت قول السائق : « ياسيدنا » .

لمت الكلمة فى ذهنى واستمرقتها فسألت نفسى : « لماذا لا أكون واعظا » ...

.. فى البداية على الأقل يجب أن يكون لى عمل يعرفنى الناس من خلاله ، فانا محتاج الى صفة أقدم نفسى بها الى الناس ، ثم تأتى بعد ذلك التجارة أو الزراعة ، المهم أننى ..
— كمال .. الى متى سنظل سائرين هكذا ؟

— هل تمبث يا قادية ؟

— أخشى أن يحل علينا الظلام .

— قطعنا مسافة كبيرة ولا بد أن الواحة أصبحت قريبة لكن المرتفعات تحجبها .

— وماذا سنقول عن أنفسنا ؟

— أنا واعظ وأرسلتنى اليكم وزارة الأوقاف .

— واقترض أن الواحة ليس بها مسجدا ؟

— مستحيل ، على الأقل يكون بها زاوية أو حتى مصلية

« بالطوف » .

— كمال ، المدق الذى كنا نمشى عليه اختفى !

— الرمال تغطيه .

— أخشى أن تتوه فى الصحراء .

— لا يا قادية ، لا تخافى .. ان الله لم يتخل عنا فى أحلك

الأوقات ولن يتخلى عنا أبدا .

— المدق اختفى ياكمال ١٠٠

— اتبعونى وسوف يهدينى الله اليه •

— تمبت ولن أقدر على السير بعد الآن •

— فعلا يجب أن نستريح ونأكل شيئا ، افرشى البطانية تحت هذه الشجرة اليتيمة ، تعال يدعيس • أخرجت « الزميسة » وصبيت لهما الماء فى الكوب « البلاستيك » حرصا على ألا تنسكب • فتحت علبة مربى ثم أفرغتها فى طبق صغير وبدأنا فى تناول الطعام تبخر العرق فأحسست بشيء من البرودة تطفئ جسمى ، مرت لحظات والشمس تميل ببطء نحو مخدعها الغربى ، خيم الصمت على المكان ، دعيس أغمض عينيه واستسلم للنوم • زوجتى ترضع ايناس وأنا أقامل هذا القضاء الشاسع المريع وأفكر فيما سيفعله أخى عندما يذهب الى ابن خالتي فى « أم المصريين » ويكتشف أننى لم أذهب اليه ، هل سيحاول البحث عنى ؟ أم سيكفى علو الخبر « ماجورا » ويصمت •

فجأة ، صرخت قادية وأمسكتنى بشيء من الهلع ، اضطرب قلبى ، جف حلقى ، سألتها :

— مالك يا قادية ؟ ايناس جرى لها حاجة ؟•

— ثعبان ، ثعبان •

رأيت جزءه الممتد خارج الشق ، يقف ساكنا ، يلعب بلون الرمال تناولت حجرا وألقيته بكل قوتى ، فتشم رأسه وجعل يتلوى مترنحا ، وهنا فقط رأيت أرجلها الصغيرة فصرعت بالندم وقلت فى أمى :

— سامحنى يارب ، كانت سحلية يانادية •

حملنا الحقايب ومشينا ، تملكنى احساس بالذنب ، أصبحت قاتلا لأول مرة فى حياتى ، تذكرت أيام الطفولة كنت أسسمهم يقولون : السحلية تحمل مفتاح الجنة وقتلها حرام •

تهدت بنوع من الضيق ورددت فى نفسى : « يبدو أن عجلة الاجرام تصحبنى اليها ببطء ، اليوم قتلت سحلية أزهدت روحا ، ولا أدرى ماذا ؟! آه لو أنها تريت أو تأملتها لتعرف أنها سحلية فى البداية كانت حواء وراء خطيئة آدم واليوم .. اليوم ، لا .. يبدو أنها لعنة موروثه ، لعنة نسبية ، يزيد حجمها أو ينقص من انسان الآخر ، لكنها تصيب الجميع .. هل قدر للانسان أنه فى الوقت الذى يهب فيه للدفاع عن نفسه يرتكب جريمة ؟ وماذا لو كانت هذه السحلية ثعبانا حقيقيا ؟ أكأت تسكت وتتركه ليهجم علينا وينهى حياتنا .. أكان يجب أن تتكاسل حتى يخنقنى مجدى بقبضته القوية ثم يقتلها أو يقيدھا ويهرب كما جاء هاربا من عادة الثار فى الصعيد ؟! .. وهل كان ..

— تهنا يا كمال ، المدق ليس له أى أثر •

— هه ، اطمئنى يانادية ، لن تنوء ولن يصيبنا الا ماكتب

الله لنا •

— الشمس توشك أن تغرب •

بين التلال الجيرية والرملية ، رأيت كتلة هائلة من الصخر يصل ارتفاعها الى أكثر من خمسة أمتار ، توجهت اليها وصعدت الى قممتها ثم وقفت أمسح بعينى صفحة الرمال من كل الجهات ، على

مرمى البصر لمحت شكلا قاتما يشبه قمم الأشجار ، تنفسست الصعداء ، وجريت بالفرحة اليها فقلت مبشرا :

— رأيتهما يانادية ، الواحة أقرب مما تظنين ، لو أسرعنا الخطا سنصل قبل الظلام .

— الحمد لله .

— ألم أقل لك أن الله لن يتخلى عنا ؟ هيا بنا .

— عرفت علامات الطريق اليها لكنى لانتوه ؟

— نعم ، انها بالضبط فى اتجاه الشرق من هنا وربما لا تبعد أكثر من ثلاثة كيلومترات .

تولدت فى نفوسنا شحنة هائلة من الحماس ، أدركنا ظهورنا لقرص الشمس الوردى الشفاف ، ومشينا نجوب السهول ، نصعد التلال ، نزل المنحدرات ، تلتفت الى قرص الشمس ، نتعشر فى الأحجار ، بدأت تظهر قمم الشجر ، تعلقت أبصارنا بها حتى وقفنا على الهضبة المطلة عليها وصاحت نادية بشيء من الإحباط :

— أهذه واحة ؟

— تعالى ، لمحت رجلا هناك ، تعالى نسأله .

كانت الأشجار باسقة الأفرع شديدة الخضرة ، لايتجاوز عددها أصابع اليد الواحدة على مسافة أمتار قليلة حجرة بلا سقف ، من بعيد يمتد سور قصير وصف من شتلات أشجار الكافور الميتة ، الرجل يهرش كحيوان أجرب ، جلبابه قصير قدر كانه من حفارى القبور ، شعرت أننا دخلنا أرضا تخصه فقلت مناديا : السلام

عليكم • التفت مأخوذاً ، ففر فاه ، وضع يده فوق حاجبيه وجعل
ييحلق فينا ثم انحنى يتناول عكازه من الأرض وجر ساقيه قصادما
الينا ، كان من الواضح أنه يعاني ألماً في قدمه اليسرى المربوطة
بشريط من الجلاباب يادرت فسألته : أهذه واحة السعدى ؟

أجاب فى عصبية وبصوت أجش : ألم تر واحة من قبل ؟
— أقصد أن تدلنى على طريقها •

— لا أعرفه •

— قل لى من فضلك ، أين نحن الآن ؟

— قلت لك لا أعرف •• هيا ، مع السلامة •

— ياسيدى ، نحن كما ترى ••

— ألم تسمع ، هيا •

قالها صارخاً بصوته القبيح فبكت ايناس ورقعت زوجتى وجهها

الى السماء : ارحمنا يارب ، ماذا نفعل الآن ؟

— اصبرى يا فادية ، اسمح لنا يا شيخ العرب أن تقضى ليلتنا
عندك •

— هذه الحرمة زوجتك ؟

— نعم ياسيدى •

— والحقائب •• ماذا بداخلها ؟

— ملابسنا وبعض الأطعمة •

— أطعمة كثيرة ؟

— نعم •

— ستييتون هنا أكراما للصغيرة فقط •

— الله يكرمك •

— تعالوا •

سرنا خلفه بشيء من التوجس ، فى الحجرة فار تضطرم تحست
علبة من الصفيح بها ماء يفلى ، وضعنا الحقائق وجلسنا ، بدأت
زوجتى ترضع ايناس ، لاحظت أنه يتأمل ثديها بعين زائغة ، غلى
الدم فى عروقى ، أومأت لها فاستدارت الى الجانب الآخر ، اقتربت
منه وسألته : ألا تعرف العرجاوى ؟•

— لا أعرف أحدا •

— منذ متى وأنت هنا ؟•

— وأنت مالك •

— هل تنوى زراعة هذه الأرض ؟•

— ان كنت تظن أننى مجنون فأنا أعقل منك ومن أهلك •

— حاشا لله ، أنا أعتقد أنها فعلا تصلح للزراعة وبدليل هذه

الأشجار •

— أنت لم تذوق ماء البئر ، خذ •• اشرب •

قدم لى وعاء من الفخار ، شربت منه جرعة ماء ، فكان طعمه

مائعا يشبه ماء العيون الكبريتية فى حلوان •

ناولته الوعاء مؤكدا : أنه ماء مفيد للصحة •

— فى قاع البئر أحجار من الملح •

— وأنت ماذا تفعل هنا ؟•

— أحارب الثعالب •

— ذات الفراء ؟•

— لا أفهمك •

— اذن فأنت تبيعها لحديقة الحيوان •

— أبيع ماذا ؟

— الثعالب •

— بينى وبينهم كراهية شديدة •

— لماذا ؟

— يريدون قتلى .. انظر •

كشفت عن ساقيه فرأيت بهما جروحا صديدية عميقة ، كان يعالجها برماد الخشب المحترق ، يفركه بين أصابعه ويرشه فوقها . متألماً ، غطى ساقيه وقال بغيظ : لكنى سأنتقم ، سأنتقم .. ولع •

— نعم • •

— خرمان ، ولع •

— أنا لا أدخن •

غمغم بكلمات هامسة وقام الى النار ، رفع العلبة ووضعها على الأرض ، فرش أوراق الشجر وأمسك قطعتين من العصي ، ثم أخرج من العلبة شيئاً كالأرباب السلوخ وبلا رأس • وضعه على الأوراق الخضراء قائلاً :

— تفضلوا ، شاركوني الطعام •

— معنا طعامنا •

— ستأكلون منى لكنى أكل معكم •

قالها وقسح الأرباب الى أربع قطع ، أخذ كل منا واحدة ، فتحت الحقيبة الصغيرة وأخرجت منها الأرغفة ومثلثات الجبن وبدأنا

تناول الطعام على ضوء « ركة » النار التي دأب على تغذيتها
بالشكلات الجافة بين وقت وآخر ، شربنا ما كان متبقيها في
« الزمزية » من الماء العذب ، ساعدني دعبس وملأها من البئر ،
وعندما رجعت الى الحجرة ، شاهدت الرجل يقترب من زوجتي
وسمعتها تصرخ فيه : لا ، لا .

تملكني الغيظ وأحسست بأنني أريد أن أقتله ، اندفعت اليه
وسحبته من جلبابه في عنف : ماذا تريد منها ؟
— أسألكم ان كانت تعرف الرقص .

— ابتعد عنها لكي تفوت ليلتك السوداء على خير .
— لو لم تكن ساقاي مجروحتين لفرجتكم على الرقص ، الرقص
الذي عمركم ما رأيتم مثله ، أنا كنت راقصا من الدرجة الأولى ،
جميع الكازينوهات تعرفني لكن الثعالب غدرت بي ، غنوا ، غنوا
معى :

« الثعالب فات فات وفي ذيله مبيع لفات » .

وجعل يغنى ويهذى كالمحموم ، أحسست أن وراءه مأساه ،
لكنني في نفس الوقت كنت أشعر نحوه بكراهية شديدة . مر
الوقت بطيئا وهو يرفع عقيرته بكلمات غريبة حتى غلبه النعاس
فنام وهو يشخر بصوت مزعج مثل تقيق الضفادع ، حينئذ كان
القمر يفرش بساطه المضيء على كل شيء ، رفعت وجهي للسماء
وتأملت قرصه الفضي الذي طالما تغنى به الشعراء فوصفوه
بالوجه الملائكي تذكرت صعود العلماء اليه وهبوط مركبة
« أبولو » على جبال « الألبين » والصور التي التقطوها لسطحه

الملئء بفوهات البراكين كأنه وجه انسان مريض بالجدرى ،
سألت نفسى : « لماذا تكون الأشياء البعيدة جميلة وإذا امتلكتناها
ندوسها بالأقدام ونصفها بالقبح ، بالأمس القرب كنا نتم
بحياة آمنة رغدة ومع ذلك لم نشكر الله عليها ، والآن تمنى
الحرية والأمان حتى لو كان غذاؤنا خبز وملح .. ما ؟! نعم
الانسان ! » ..

ظلت شاردا مع خواطرى حتى فادتنى زوجتى بصوتها الحنون :
- كمال .

- نعم يا نادية .

- ألسنت نادما ؟

- أنا ؟! أظن ماذا ؟

- لم تعد مدرسا .

- لكن الحياة مستمرة ويجب أن نعيش مهما كانت الصفة التى
نحياها ..

- مستقبلك ليس هنا .

- المستقبل بيد الله ، أما أنا فيكفينى حبك أفت وايناس .

- يحق لك أن تكرهنى .

- نادية حرام عليك ، هذا هو قدرنا معا والانسان مشددود

الى قدره بقوة جبارة لا يمكن تعطيلها ، اسمعى ، أنا كنت أحلم

بأن أكون صحفيا ، لكن مجموعى وقف بى عند كلية الآداب ولم

أكن راغبا العمل فى الريف ، لكن تقدير « مقبول » فى الليسانس

أوصلنى الى كفر الغنيمى وأيضا كنت أخطط للزواج من خريجة

جامعة ، لكنى أحبيتك وتزوجتك .. اذن لا بد وأن يكون هذا
هو قدرى المكتوب سواء رضيت به أم لم أرض •

— ٥١ —

مع نسمات الصباح الأولى فأهينا للمسير ، لكنه وقف يسد
علينا الطريق فقلت له :
— نحن نشكرك على استضافتك لنا ليلة البارحة وندعو لك
بالشفاء •

— هذا لا يكفي •

— ماذا تريد ؟ •

— شيئاً أرتديه •

— حاضر •

— وشيئاً آكله •

أعطيته جلباباً ورغيفاً وعلبة مربى ، كان ينظر فى الحقبائب
بعين ملؤها الجشع ، اقترب منى وقال :

— لا تنس اننى أطعمتكم ثلاثة أرباع الفار •

— الفار ١٠٠ ماذا تقول ؟ ألم يكن أربابا الذى أكلناه ؟ •

— لم أقل أنه أرب •

— أكلنا فأرا ؟ يا خرابى ! •

هكذا صرخت نادية وارتمت على الأرض تحاول أن تتقيأ بلا

جدوى ، نظر الينا بمزيج من الدهشة والازدراء •

ثم قال باستعلاء :

— ماذا دهاكم ؟ لا فرق بين أرب جيلي وفار جيلي ، ألم يكن شهيا ؟ الناس في كوريا وتايلاند والهند يأكلون الفئران والثعابين في زائير يأكلون القروء ، في فرنسا يتهافون على الضفادع ، ماذا ..

— ابتعد ، ابتعد أيها الخنزير اللثيم •
دفعته بكل قوتي فتراجع واستند الى الحائط ، أخذنا العقاب وخرجنا فشيئنا بصوت مرتفع :

— لا أدري أى نوع من البشر هذا !•

— ماذا يغصبه على العيش هنا ؟•

— لا بد أن وراءه سرا ، يبدو أنه كأن ثريا قبل ذلك فهو يعرف الكازينوهات ويتحدث عن كوريا والهند وفرنسا •

— فهمت أنه كان يعمل راقصا في فرقة تجوب أنحاء العالم ، فكيف جاء الى هنا ؟•

— لا أعرف لماذا وكيف جاء ؟ أنه انسان غامض •

— من شاف بلاوى الناس هان عليه بلاؤه !•

تأملت الشمس في كبد السماء ، قیظها الحارق يکوى أجسامنا ، أخذ منا التعب كل مأخذ ، تملكنى شعور باليأس ، كنا كمن يبحث عن ابرة في كومة قش ، أحسست أننا سنموت لا محالة على هذه الرمال الممتدة بلا نهاية ، جف حلقى وضاعت أنفاسى كأن جبلا قويا يلتف حول عنقى ويضغط عليه ، ارتمينا على الأرض فلتقطت الأنفاس ، نشرب جرعة ماء ، نستجمع قوانا ، التقت نظراتنا فى صمت ، ماتبقى لنا من كلام على هذه الأرض أصبح مرسوما

فى وجوهنا بخطوط سوداء حفرها الارهاق والخوف •
تناهى الى سمعى صوت رائع طربت له اذناى ، التفت اليها
غير مصدق ، وجدتھا ترهف السمع وقد انفرجت أساريرھا :
— نادية ، أسمعین • ؟
— انه صوت سيارة •

جريت ققزا الى التل فصعدت أعلى جزء فيه وتلفت ، وقم
بصرى عليه ، كان جارا زراعىا أحمر اللون • يجرى ناشرا خلفه
سحابة من الغبار الأصفر الداكن • لوحت بذراعى وناديت بأعلى
صوتى :

— أنقذنا ، نحن هنا ، أنقذنا من الموت •
مرت لمظات كثيية قاسية ، صوتى يضيع مع الرياح وأنا أنادى
بمزم وتصميم طالبا النجدة ، أخيرا تنبه السائق ولمضى فاستدار
نحو التل ، كان شابا دون الخامسة والعشرين ، يرتدى قميصا
أحمر وبنطلونا كاكيا ويضع على رأسه طاقية بيضاء مزركشة ،
سأله متوسلا :

— ألا يمكن أن تأخذنا معك الى واحة السعدى • ؟
— أنا متجه الى مزرعة « أبو المجد » •
— ستكون مروءة منك اذا ساعدتنا •
— أن ورائى فى المزرعة أعمالا كثيرة •
— أيرضيك أن نموت هنا •
— تعالوا معى نستأذن صاحب المزرعة أولا •
وضمنا الحقائق فى المقطورة وركبنا ، تنفست الصعداء ، رفعت

زوجتى وجهها الى السماء وقالت بصوت مسموع : يا ما أنت كريم
يارب •

— ٥٢ —

لاحت من بعيد المساحة الخضراء محاطة بأشجار الكازورينا ،
ويتصدرها لوحة زيتية كبيرة ، الأرض لا تختلف الا فى كونها
مسطحة تماما ، هلت علينا نسائم رطبة ، اقتربنا من المدخل وهو
شارع يفصل المزرعة الى جزئين ، قرأت اللوحة : « مزرعة أبوالمجد
لصاحبها : المهندس حسن عبد العظيم أبو المجد • تأسست فى
ابريل سنة ١٩٧٥ » •

اللون الأخضر يكسو الرمال بدرجات مختلفة ، قابلتنا روائح
عطرية منعشة ، دفعتنى حب الاستطلاع أن أسأل الشاب عن نوع
ذلك النبات القصير ذى الأوراق الخيطية. الدقيقة فأجاب فى شيء
من الفخر •

— أعشاب طبية تباع بالعملة الصعبة •

كاف مساحتها لاتقل عن عشرة أفدنة ، بعدها مباشرة وعلى
الجانب الأيسر نبات يشبه « السمار » الذى ينمو على شواطئ
الترع والمساقى ، فهمت أنه يستعمل كغذاء للماشية عندما وقع
بصرى على مبنى مستطيل يشبه الحظيرة ، أمامه بالات من التبن •
أما الجانب الأيمن فمزروع بالفول السودانى الذى اصفر
أوراقه علامة على النضج ، خلف أشجار الزينة شد انتباهى منزل
ذو طابقتين مطلئ باللون الأبيض وله شبايك زرقاء ، توقف الجرار

وقفز الشاب من مقعده قائلاً : دقيقة واحدة استأذن الباشمهندس •
كنا مبهورين بهذا الانجاز الرائع فى قلب الصحراء ، سألتنى
زوجتى :

— كيف يحصلون على المياه الكافية لرى هذه الخضرة ؟•

— من الآبار طبعا •

— لازم يكون مليونيرا •

— من ؟• صاحب المزرعة ؟• طبعا مليونير ، لكن يجوز انه بدأ
بمبلغ متواضع ، فرحلة الألف ميل تبدأ بخطوة •
— انه قادم •

رجع الشاب ومعه رجل فى الأربعين ، طويل ، نحيف ، قمحى
اللون ، يرتدى بنطلونا أسود وقميص كاروهات أخضر ، يضع على
عينيه نظارة طبية ذات اطار ذهبى وجهه مشرق بابتسامة عريضة
جعلتنى أشعر بالآلفة • رفع يده بالتحية فنزلت وصافحته ، قدم
نفسه بتواضع شديد : حسن أبو المجد فى خدمتكم •

— شكرا ، نحن فى الحقيقة كنا ذاهبين الى واحة السعدى
وتهنا لمدة يوم ونصف حتى أنقذنا الأخ سائق الجرار من الموت
فى الصحراء •

— أولا مرة تسافرون الى واحة السعدى ؟•

— نعم ، فأنا واعظ جئت موفدا من وزارة الأوقاف •

— أهلا ، أهلا ، حصلت لنا البركة •

— الله يبارك فيك •

— طيب ، الواحة بعيدة والطريق وعرة ، قايه رأيك لو تشرقوننا

اليوم وغدا بإذن الله يوصلكم الأسطى ناهض الى الواحة •

— الحقيقة ، هذا كرم من حضرتك وأنا عاجز عن الشكر •

— لا ، أبدا •• تفضلوا •

— جزاك الله كل خير •

سرنا معه بينما قفز سائق الجرار الى عجلة القيادة واستدار مبتعدا ، فى نفس اللحظة انطلق صوت ماكينة المياه : « طق ، طق ، طق » • انعطفتنا يمينا من المشاية المؤدية الى البيت ، على الجانبين أحواض الزهور منسقة تنسيقا بديعا ، فى المدخل تكعيبة عنب هائلة تتدلى منها العناقيد : صفراء وقرمزية وسوداء ، تتناثر تحتها مقاعد رشيقة من الخيزران ، أشار اليها قائلا :

— تفضلوا سأغيب عنكم خمس دقائق •

كان البيت فخما كأنه قصر ، الجدران مرتفعة نظيفة ، النوافذ عريضة ، الأبواب عالية مزخرفة ، وضعنا الحقائق وجلسنا ، المنظر من حولنا ساحر يفيض روعة وجمالا ، الهواء عليل معطر كأنه نسيم الجنة ، تنفست بعمق ، مسحت المكان بناظري ، خيم الصمت برهة ثم قالت زوجتى بنبرة حاملة :

— عندما يرجع أخى من السعودية سيكون معه أموالا كثيرة •

— يعنى ايه • ؟

— تستطيع أن تأخذ منه مبلغا :

— بصفة ايه • ؟

— أما سلفة أو ثمنا لنصيبى فى الدار والغيط •

— لماذا • ؟

— نأخذ قطعة أرض كهذه ونزرعها •
— آه ، يبدو أنك حلمت كثيرا وحلقت فى سماء الخيال فنسيت
أنا خرجنا من « الكفر » ولن نرجع اليه أبدا •
تجهم وجهها وانعكس فى ملامحها شعور بخيبة الأمل ، فقلت
مهونا عليها :

— اذا كان العرجاوى غنيا كما سمعت فهو الذى سيساعدنا •
— انظر ، انظر ، اللهم صل على النبى •
حينئذ كان باب الحظيرة قد فتح وخرج قطيع من أبقار
« الفريزيان » تتسابق الى مراعيها الخضراء ، تجرى فى نشاط
زائد وجلدها الأبيض الملطخ ببقع سبوءاء بلمع تحت وهج شمس
الأصيل •

— تأخرت عليكم ؟ •
قالها المهندس أبو المجد وسحب كرسيا ، فجلس جانبي مرددا :
— أهلا ، أهلا •
— أهلا بك يا حسن بيه •
— هل ستقيمون فى الواحة بصفة مستمرة أم أنها مجرد زيارة ؟ •
— إقامة مستمرة اذا شاء الرحمن •
— هذا اتجاه مبشر ودليل على أن شبابنا أصبحوا عمليين أكثر
وتخلصوا من قيود العصبية والحنين الى الماضى •
— فعلا ، أفكار الشباب تغيرت •
— تصور أنهم وصفونى بالجنون منذ خمسة أعوام •
— لماذا ؟ •

— لأن عندى روح المغامرة ، فعندما رجعت من « ليبيا » حيث كنت معارا قررت أن أضع كل ثروتى فى هذا المكان ..
— السلام عليكم .

قالتها سيدة شقراء ، فى نحو الثلاثين من عمرها ، ترتدى فوق الفستان الفيروزى بالطو أبيض ، أشار إليها قائلا : زوجتى دكتورة سوسن ، طبيبة بيطرية سابقا ، ومديرة الانتاج الحيوانى بالمزرعة حاليا .

— أهلا وسهلا .

— الأستاذ واعظ أرسلته وزارة الأوقاف .

— الينا ؟

— الى واحة السعدى ، لكنه على أى حال سيكون قريبا منا .
صافحتنا ثم خلعت الباطو وجلست بينما استطرد زوجها :
— تصورى ياسوسن .. الجماعة تاهوا فى الصحراء وظلوا سائرين يوما ونصف .

— ياخبر ١٠٠٠ وهل كان معكم طعام وماء ؟

— نعم ، كان معنا مايكفى ويفيضى ، ومع ذلك لم نسلم من
قسوة الصحراء .

— كيف ؟

— أكلنا فأرا .

— أكلتم فأرا ؟ .. كيف ؟

— رزقنا الله برجل يعيش فى حجرة بلا سقف ، رجل قبيح مثل حيوان أجرب ومصاب فى قدميه بجروح غائرة ، قدم لنا طعاما

حسبناه أربنا •

— وكان فأرا •• يا خبر! •• لقد عانيتم كثيرا •

— على أى حال ، اعتبروا أنكم وصلتكم الواحة وانتهت المعاناة •

— الحمد لله •

— لا بد أنكم جائعون ، سأجهز لكم طعاما •

قامت متجهة الى البيت وكرر المهندس حسن تحيته : حصلت

لنا البركة •

— الله يبارك فيك ، الحقيقة يا حسن ييه حضرتك نودج مشرف

لكل مصرى •

— مافعلته أنا يستطيع أى شاب عنده روح المغامرة أن يعمل

أحسن منه •

— مثل هذا الانجاز الرائع يحتاج فعلا الى روح المغامرة •

— تعرف لماذا لا يوجد الآن رحالة مثل ابن بطوطة أو مكتشف ،

مثل ابن الهيثم ، ولماذا تخلفنا عن ركب التقدم وانقطعت عنا أمجاد

الحضارة العربية •• لماذا •؟ لسبب بسيط جدا هو انعدام روح

المغامرة •

— معك الحق فى هذا •

— لذلك أنا سعيد جدا أن يكون رجال الدين فى طليعة معمرى

الصحراء •

حينئذ سمعنا صوت كلاكس سيارة فقام واتجه ناحية مصدر

الصوت ، غاب عنا بضع دقائق ثم عاد ومعه ضابط •

دقت زوجتى على صدرها وقالت بفزع : يا خرابى ، يا خرابى •

الجمتى المفاجأة ، وقتت حائرا ، ارى ان اجرى أو تنشق
الأرض وتبتلعنى ، خفق قلبى بعنف وكاد ينزع من مكانه ، قلت
فى نفسى :

— « خلاص ، جاءك الموت يا تارك الصلاة .. هذه هى نهايتنا
المحتومة » .

مرت لحظات صعبة ، مريرة ، حتى قال المهندس حسن وهو
يشير بيده اليمنى :

— حضرة الضابط يبحث عن رجل أسود ، شعره ناعم ومصاب
فى قدميه .

— مصاب فى قدميه ؟

— أليس هو الذى أطعمكم الفأر ؟

— انه مجرم خطير ، كان يعمل راقصا ثم كون عصابة لسرقة
البنوك .

ولم يكذب انتهى الضابط من كلامه حتى قالت نادية .

— نعم انه هو ، قال انه راقص من الدرجة الأولى .

— تعال معنا لكى تدلنا على مكانه .

— ٥٣ —

توقفت السيارة على مسافة بعيدة ، كان واقفا فى نفس المكان
الذى رأيته فيه أول مرة ، يبدو أنه كان يجمع خطبا ، أشرت لهم
اليه ، وزعوا أنفسهم ومشوا حاملين السلاح ثم حاصروه من كل
الجهات وطالبوه بالتسليم ، وقف حائرا يتلفت فى ذهول ، رفع

يديه ، سار اليهم ، قبضوا عليه ، ألْبسوه أسورتين من الحديد
واقْتادوه الى السيارة ، كاد الشرر يتطاير من عينيه عندما وقع
بصره على ، كشر عن أنيابه ، حرك شذقيه مستجمعا لعابيه ،
حاول أن ييصق على فابتعدت وسقطت على سترة العسكرى
الجالس الى جوارى فضربه « بدبشك » البتدقية ، لم أحتمل نظرتة
الشيْطانية وهو يحدق فى كافعى تربرص لفريستها تنبته الى أن
السيارة تجرى على طريق من الأسفلت ، أصابنى القلق وقلت :

— رجعونى أولا الى المزرعة •

— هناك بعض الاجراءات ، ستأخذ مكافأة من الاتربول

« البوليس الدولى » •

قالها أحد العساكر فعلق الرجل بمزيج من السخرية والغيظ :

— بكم ألفا بعتنى ؟•

أحسست بوخز الضمير وترددت كلمته الأخيرة فى ذهنى برجع

صدى كئيب :

— « بعتنى ، بعتنى ، بعتنى •• الاتربول ، كم ألفا ؟• اذن فهو

لص ومحترف ، لا بد أنه سرق مبلغا كبيرا ، مليون جنيه مثلا ،

لكنه بائس يرتجف كحيوان أجرب ، بماذا تقيده ، ملايين الدنيا

كلها •• ياله من غبى ! » •

ابتسم جندى وقال فى تودد : أنت أملك داعية لك •

— الى أين أنتم ذاهبون الآن ؟

— الى مديرية أمن أسيوط •

— أسيوط • لا ، أرجوكم نزلونى •

— لقد وصلنا •

تملكنى الفزع وأحسست « بالمغص » ينشب أظافره فى أمعائى
قلت لنفسى : « لابد أن صورتنى عندهم وسوف يتعرفون على ،
ماذا لو رآنى الضابط سمير ؟ • انه يعمل هنا فى أسيوط ولا بد
أن الجرائد نشرت قصتنا وقرأها » •

وبينما كنت شاردة مع أفكارى توقفت السيارة ونزلنا أمام مبنى
المديرية ، فكرت فى محاولة الهرب ، لكنى لاحظت أن رجال الأمن
منتشرون فى المكان كله ، سرت معهم بلا إرادة ، كانت قدمائى
لا تقويان على حملى وذهنى شارد مع النهاية التى لابد منها ،
تمنيت لو لم أر هذا اللص أو أرشد عنه ، رددت فى أسى :

« أصبحت كمن حفر حفرة لغيره فوق هو فيها ، صحيح
لا يحق المكر السيئ الا بأهله ، لكنى لم أكرر الظروف هى
التى جمعتنا به ، مالى أفكر بتشائم ، أليس هذا هو قدرى ثم اننى
لو هربت سأثير ضجة وقد أفضل ويعرفون حقيقتى ، أما الآن
فالجميع يتسمون لى ويشكروتنى » •

أخذونى الى ضابط كبير برتبة « عقيد » قام وشد على يدى ثم
هنأنى :

— ألف مبروك ، الأتريول سيقدم مكافأة لن تقل عن ألف
وخمسمائة جنيه •

— على ماذا ؟ لم أفعل شيئاً •

— أنت قدمت للمجتمع الدولى خدمة كبيرة •

ثم رفع سماعة التليفون وسألنى :

— اسمك ايه ٢٠

— هه ، اسمي ، اسمي كمال الدين .. الشيخ كمال الدين

• توفيق

تحدث في التليفون بلهجة آمرة :

— بالنسبة لموضوع الاتربول ، ابعثوا اشارة باسم السيد

كمال الدين توفيق ، أيوة المرشد .. نعم ٢٠

قال الكلمة الأخيرة باستغراب والتفت يسألني :

— أنت من روض الفرج ٢٠

حينئذ خفق قلبي بعنف وكاد يتوقف عن النبض ، هربت

الدماء من أطرافي ، جف حلقي ، أحسست بإجهاد شديد ، ابتعدت

صور الأشياء من حولي ، أصبحت ضبابية اللون ولم أدر بعد ذلك

بما حدث • حتى أفقت على صوت الضابط سمير ، كان واقفا

بجانبي وأنا نائم على كنبه « فوتين » في مكتب العقيد •

ابتسم سمير وقال : أهلا يا كمال ، أطمئن ، أنت برئ ومجدي

حي يرزق •

— ماذا تقول ٢٠ مجدي على قيد الحياة ١٢٠

— نعم كان مغنى عليه وأنتم تسرعتوا وكنتم مخدوعين •

— زوجتي في مزرعة « أبو المجد » •

— أرسلنا من يحضرها •

— صحيح ، مجدي ما يزال حيا ٢٠

• وستراه بنفسك •

— لا ، لا داعي •

- حمايتك داخلك فى البحث عنكم •
- لن نرجع الى كفر الغنيسى •
- اطلب نفلك الى القاهرة •
- لا ، سأنتهى مزرعة •
- مزرعة ؟
- ألم تقولوا ان لى مكافأة من « الاتريول » ؟
- نعم ، لكن الوظيفة ؟
- غدا أقدم استقالتي •
- أهذا قرارك النهائى ؟
- نعم ، والطيور التى خرجت من عشها خائفة ، مذعورة لن تعود ثانية ، لن تعود لأن الحياة أصبحت غابة والناس فيها وحوش يفترس القوى الضعيف •
- لكنك ستواجه مشاكل كثيرة ، البداية ستكون صعبة •
- طالما أن لى هنا فى رأسى عقل يفكر وهنا فى صدرى قلب ينبض بالايمان والحب والعزيمة القوية سأتعلم على كل المشاكل •
- ربنا معك •

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية : ٨٥/٢٨٥٨
 الترقيم الدولى : ١ - ٨٥٥ - ١١٨ - ٩٧٧ ISBN =

ألف ليلة وليلة

طبعة خاصة مهذبة

تتضمن باكر مجموعة قصصية عربية ، يمتاز بالصراحة وصدق التعبير ،
وخصب الخيال ، والتصوير البديع ، والاساطير الجذابة ، والعواطف
المشوبة ، والشخصيات الرائعة ، والمغامرات الباهرة ، والاجواء الساحرة
التي يعيش فيها القارئ ، وكأنما يعيش في احلام لذينة ، وآمال حلوة ، وعالم
يزدهم بوقائع الجان ، وطبائع الانسلن ، والصراع بين الخير والشر ، والفساد
والصلاح ، والفشل والنجاح .

تصدر في ستة اجزاء ثمن كل جزء ١٢٥ قرشا صدر منها
الجزء الاول وتصدر الاجزاء الباقية تباعا .

تصدر عن مؤسسة دار الهلال

كتاب الهلال يقدم

فى بيت أحمد أمين

بقلم : حسين أحمد أمين

يستعد العالم العربى للاحتفال عام ١٩٨٦ بالذكرى المئوية لمولد المفكر الدكتور أحمد أمين صاحب « فجر الاسلام » و « ضحى الاسلام » و « ظهر الاسلام » وعشرات من الكتب الهامة .

ويسعد كتاب الهلال أن يكون أول من يسهم فى هذا الاحتفال بأن يقدم كتابا شائقا ، بالغ الطرافة والجدة بقلم أحد أبنائه الكاتب المعروف حسين أحمد أمين .

يصدر ٥ يوليو سنة ١٩٨٥ عن مؤسسة دار الهلال..

مجلة المهلل

مرآة العقل
العربي
خلال قرن
من الزمان

أول
كل
شهر

رئيس التحرير: مصطفى نبيل

اشترك في روايات الهلال

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

السيد / هاشم علي نحاس
جدة - ص ٠ ب رقم ٤٩٣
المملكة العربية السعودية
جدة :

M. Miguel Maccul Cury,
R. 25 de Maroc, 990
Caixa Postal 7406.
Sao Paulo, BRASIL
البرازيل :

السيد / عبدالعال بسيوني
زغلول الكويت - الصفاة -
ص ٠ ب رقم ٢١٨٣٣٠
تليفون ٧٤١١٦٤
الكويت :

THE ARABIC PUBLICATIONS
DISTRIBUTION BUREAU
7, Bishopsthorpe Road
London S.E. 26
ENGLAND
انجلترا :

(اسعار الاشتراك على الصفحة الثانية)

هذه الرواية

ان من يبدأ قراءة رواية « الطيور » لن تعود « للروائي المصري الجاد والتمكن من ادواته الفنية الروائية » لا يمكنه - هذا القاري - ان يترك هذا العمل بعد ان ينتهي منه .. ذلك لان الفنان يملك هذه السيطرة الهادئة المكننة على الحكى .. وذلك بفضل الوضوح والجلال اللذين يقودانه في طريقه الفني .. وبفضل هذه اللغة .. هذه اللغة الفنية الرائعة التي تعلمها اهم انجازات الروائي المصري عبدالمقصود محمد الذي كتب روايته وهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره .. ولعله بدأ في تسجيل أحداثها وهو في الخامسة والعشرين .. اقول اللغة ، ذلك لان عبدالمقصود محمد قد توصل الى اكتشاف خطير .. وهو ان يضع لفته البلدية .. في قالب عربي فصيح وبلغ وسليم .. وكان هذه اللغة البسيطة - وبخاصة في الحوار - قد بدت في غلالة شفافة من الفصحى .. انك تسمع الحوار العامي خلف هذا الثوب الفصيح دون ان تحس باى تصنع أو ادعاء أو تكلف .. وذلك لانه يمتلك مصريته ولقته العربية .

ان عبدالمقصود محمد الذى اقرا له لأول مرة يعنى وعيا واضحا بطريقته .. ولم يبدأ الكتابة الا بعد ان تأكد من هذا الوعي .. ولهذا فهو يسير في طريق رسم له خارطة واضحة المعالم . وشيء آخر احببته هو هذا التركيز الذكى الذى يلتمس به فى روايته .. وشيء ثالث هو روح المعاصرة التى تتجلى بوضوح فى مضمون روايته .. تحية اعجاب لروائي جديد .. عظيم .

توفيق حنا

